

حفريات حول المناظرات الدينية خلال سفارات تحرير الأسرى بين الدولة البيزنطية

والعالم الاسلامي: تحليل تطبيقي لسفارة أبي بكر الباقلاني

## Revisiting Religious Polemics in Diplomatic Contexts: The Case of al-Baqillani's Embassy to the Byzantine Court During Prisoner Exchange Negotiations

أ.د شافية صديق\*

جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الاسلامية (الجزائر)

c.seddik@univ-alger.dz

تاريخ الارسال: 225/05/12 تاريخ القبول: 2025/06/11 تاريخ النشر: 2025/06/25

### ملخص:

في التاريخ الإسلامي فصول من المواجهات السلمية مع الآخر: العدو الديني والسياسي، وكان ذلك عبر الفكر والعلم في إطار الجدل الديني: الفريضة على المسلم بالمقاصد العليا آيات القرآن العظيم، من خلال الأمر بالمعروف وبالحكمة وبألتي هي أحسن، [ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم]. وهناك المواجه الأخرى من خلال العمل الدبلوماسي العادي أو المفاوضات من أجل قضايا هامة كالمعامهات لوقف القتال أو تحرير الأسرى وحتى دفع الجزية، أو ما يقابلها منعاً للمواجهة العسكرية. الجانب السياسي والعسكري يحتاج إلى المعرفة الدقيقة بخرائط الدين والاجتماع والسياسة عند الخصم، وهذا ما يمكن مراكمة المعلومات عنه بالاطلاع على مصادر الآخر، ومناظرة بعض ممثليه. الموضوع إذن دليل على تشابك عناصر صنع استقلال الأمم الفكري والعسكري، من خلال الحفر حول البحث عن خلفيات مكانة الأسرى وخرائط الجدل الديني الداخلي والخارجي، ثم محاولة تتبع هذا في ما وصل من تفاصيل مناظرة الباقلاني في عاصمة الدولة البيزنطية مع الإمبراطور ورجال الدين، أثناء أداء مهمة دبلوماسية بتكليف من السلطان البويهى: عضد الدولة. الوصول إلى نتائج نهائية حول هذه الاشكالية مرتبط بما سيكشفه الباحثون من مصادر جديدة ومركزية حول هذه المواضيع، ليس فقط عند المسلمين، ولكن أيضا وبصفة ملحة عند خصومهم .

**الكلمات المفتاحية:** الأسرى، الدولة البيزنطية، الدولة البويهية، الجدل الديني الداخلي، الجدل الديني الخارجي، السفارات، القاضي أبو بكر الباقلاني.

\* المؤلف المرسل

**Abstract:**

Throughout Islamic history, encounters with political and religious adversaries were not solely defined by conflict. Equally significant were the moments of dialogue, debate, and negotiation. One prominent form of such interaction emerged through religious disputation—a field deeply embedded in the Qur'anic ethos of engaging the “other” with wisdom, gentleness, and respect for differing beliefs. This form of debate is rooted in the higher purposes of the Qur'anic message, such as enjoining what is right, using wisdom and the best manner of argument, and abstaining from insulting what others worship, so as not to provoke reciprocal blasphemy against God out of ignorance.

Beyond religious dialogue, diplomacy offered another critical avenue for Muslim-Christian interaction. Whether negotiating peace treaties, arranging prisoner releases, or discussing tributes to avoid warfare, these diplomatic missions demanded a nuanced grasp of the opponent's religious, social, and political frameworks. This required not only deep knowledge of Islamic law and theology, but also a studied familiarity with the sources, customs, and doctrines of the other side.

In this context, the mission of Abu Bakr al-Baqillani to the Byzantine Empire stands as a landmark moment in the history of religious diplomacy. Sent by the Buyid ruler ‘Adud al-Dawla, al-Baqillani's role extended beyond traditional negotiation: he was charged with engaging the Byzantine court and its religious elite in high-level theological disputation. His intellectual performance before the emperor and Christian clergy illustrates the role of religious argumentation as a tool of both diplomacy and cultural assertion.

This study explores the intersections between religious debate, political strategy, and the treatment of prisoners in the medieval Islamic-Byzantine context. By tracing the historical threads of al-Baqillani's embassy and examining the available records of his disputation, it seeks to shed light on the broader implications of religious diplomacy in shaping intercultural perceptions and policies. Future research—especially that which incorporates Byzantine and non-Muslim sources—remains essential for a fuller understanding of this complex and multifaceted historical episode.

**Keywords:** Prisoner, Byzantine Court, Exchange Negotiations, The Case of al-Baqillani's Embassy.

**مقدمة:**

المناظرات الدينية خلال السفارات ذات المهمات السياسية الدقيقة موضوع هام، لكنّه متشابك مع عناصر متشعبة: تاريخية - سياسية - اقتصادية وبالأساس دينية فكرية حضارية.

السؤال الذي يفرض معاملة هنا: كيف يمكن استثمار ما توفّر من معلومات متفرقة على مصادر ومراجع

من فضاءات مختلفة، لرسم معالم خرائط الجدل الديني زمن الحرب وزمن السلم؟

المفاوضات والمعاهدات هي حلقة في سلسلة تاريخ العلاقات بين الأمم، تبنى على أسس المصلحة، وتدار

بالتخطيط لها بدقة، بمعرفة الآخر من كل النواحي، مهما بدت بعض هذه النواحي هامشية.

اختيار نموذج مناظرة القاضي محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر المعروف بابن الباقلائي في عاصمة الإمبراطورية البيزنطية اقتضى الحفر في مجالات متنوّعة، لمعرفة مدى أهميّة المناظرة في تاريخ التّقد الإسلامي للأديان من جهة، ومدى أهميّة عناصر أحاطت بها لا يبدو منطقياً لدى المتسرّع ربطها ببعض، ولعلّ قضية الأسرى في بعدها الدّيني العقدي والفقهية هي من أهم تلك العناصر، بالإضافة إلى زاد الباقلائي الحقيقي من معرفة بالجدل الدّيني المسيحي الداخلي، وموقف الفكر الدّيني المسيحي من الإسلام: دينا وفكرا.

البحث المتشابه مثل الذي يفرض إلحاحيته هنا، يسمح للباحثين بالانتباه إلى زوايا من تاريخنا مهمة، أو مؤجل البحث فيها كوضعية الأسرى في القوانين والأعراف، والتي بناء على معرفتها تدار مفاوضات تحريرهم، ويفهم منطقياً أنّ البحث في هذه الاشكاليات يحيل حتما إلى تاريخ الجدل الدّيني الداخلي والخارجي لأطراف التفاوض.

شخصية الباقلائي شخصية علمية بأبعاد فكرية وسياسية ابتداء من مرجعيته السّنية الأشعرية، وعمله مقرباً من رأس دولة شيعية، بالإضافة إلى سفارات إلى كيانات إسلامية منضوية ظاهرياً تحت سم الخلافة. وكانت السفارة الأشهر تلك التي كُلف بها الباقلائي إلى عاصمة الدّولة البيزنطية، مع ملاحظة أساسية وهي أنّ المهام التي كُلف بها لم تكن جديدة في قصور الخلفاء والملوك المسلمين وكانت سياسية بالأساس.

ولتركيز هذه الفروع في جذع واحد يمكن القول أن هناك حاجة منهجية وعلمية وقبلهما دينية، لمعرفة الظروف السياسية والدينية المحيطة بالسفارة والمناظرة، وماهي حالة العالم الإسلامي والإمبراطورية البيزنطية آنذاك، وكيف يمكن اعتبار المناظرة نموذجاً للمواجهات الدينية مع الخصم الدّيني والسياسي؟.

وبالتفرّع عن الاشكالية المركزية: البحث في معالم الجدل الدّيني فيما نقل عن المناظرة وربطها بتراث الجدل الدّيني الإسلامي -التصرائي.

### أولاً: الشاهد والمشهود: الملابس التاريخية زمن الباقلائي.

الصورة التي قدّمها بعض الكتاب والتي يتمّ تداولها اليوم على نطاق واسع عبر الوسائط الحديثة (منها أفلام كرتونية) أن الباقلائي استطاع أن يتغلّب في كلّ المواجهات العقديّة مع إمبراطور الروم ورجاله، بل تقدّم بعض التفاصيل وكأنّ أبا بكر الباقلائي حسم الجدل العقدي مع النصارى (المسيحيين) وتداعى من ذلك الحسم إقرار من رأس السّلطة السياسية هناك أن أبا بكر الباقلائي بفضل حدّة ذكائه يستحقّ مشاركة الإمبراطور عرشه؟؟!!

الرّوايات حول هذه السفارة متشابهة ومتقاربة يضاف إليها بعض التّوصيفات المنتشبة التي تُعيّب تماماً الآخر، وتراثه و"عقله"، ويرجع السّبب غالباً إلى كون الشّاهد الوحيد الذي دون تفاصيل المناظرة هو الطّرف الذي يرجح إلى صالحه نتائجها.

سحبت سفارة أبي بكر الباقلائي إلى قضاء مقارنة الأديان دون التّدقيق في ملابسها واحداثيات تفاصيلها وصدقيّة محتواها، وصحّة المعلومات الواردة فيها. ورغم أنّ الشّاهد الوحيد عليها هو الباقلائي نفسه، إلّا أنه لا

يتحمّل ما قد يكون الكتاب قد أضافوه خصوصاً ممّن كانوا يميلون إلى إبراز انتصارات المسلمين على أعدائهم في قضايا دقيقة كالعقائد، وعندما يكون ذلك من عالم كلام أشعري احتاج أتباع مذهبه إلى انتصاراته واحتاجت الدّات المسلمة أحياناً إلى تقوية الثّقة في الدّات زمن احتلال التوازن مع الآخر.

مداخل دراسة السفارة والمناظرة بحاجة إلى تنوّع الخلفيات وصرامة في تتبّع بعض التفاصيل وتحليلها وحذر شديد من التسرع في الاستنتاجات.

البيانات الرئيسية لشخصيّة الباقلاني أنه عاش (338هـ-403هـ/950م-1013م) .

ولد الباقلاني أحد الرموز والمرجعيات الأشعرية في البصرة وأقام ومات في بغداد، وارتبطت شهرته بالدولة البويهية الشيعية، التي انشقت عن الخلافة العباسية، وبقيت تدين لها بالولاء الاسمي فقط مقابل اعتراف الخليفة بسلطات الملوك البويهيين، ولم تكن الدولة البويهية الوحيدة التي قامت على هذا النموذج. بدأت تظهر قوّة الدولة البويهية أيّام الخليفة المستكفي بالله، الذي حكم سنتي 333 و334هـ. وبعد أن كان الصّراع محتدماً بين الفرس والأتراك على السيطرة على القرار السيادي في الخلافة العباسية، مما أضعف وحدتها<sup>1</sup>.

حكم البويهيون بين 320هـ إلى 447هـ (932م-1055م) باستيلائهم على فارس ثم العراق، وأزاحوا الأتراك عن طريقهم، وكانت لهم مواقف من الخلفاء تتمّ عن روح الاستعلاء<sup>2</sup>.

تعود أصول آل بويه إلى بلاد الديلم جنوب غرب بحر قزوين وبقوا لفترة على وثنيّتهم بعد الفتح الإسلامي، وأسلموا على المذهب الزيدي بعد ثورة طبرستان سنة 301هـ التي قادها الحسن بن علي الزيدي، وتقلّد الحكم من آل بويه ثلاثة أشقاء ساهموا في إرساء قواعد الدولة وانتشارها وتقاسموا أمور إدارتها وإمارتها.

في كتابات المؤرخين لم يتمّ الاتفاق على تفاصيل وطرق وصول البويهيين إلى الحكم، إذ تتنوّع المعلومات باعتبار خلفيّة كاتبها، ومما يشبه الاتفاق بين المؤرخين يشار إلى أن استيلائهم على مقاليد الحكم قد تم بعد أن قام قادة جيش الخلافة في بغداد بمراسلة بني بويه، مبدين رغبتهم في الانضمام تحت لواءهم بعد تقهقر خلافة المستكفي، فدخل بنو بويه بغداد مرحّبا بهم بمن استقدمهم. ثم اتفقوا مع الخليفة على احتفاظه بالصفّة الاسمية، لكن ألقاب السلطان والسلطة الفعلية فتلقح ببني بويه. كان هذا النموذج المحجّن مدعاة لصراعات داخلية لم تتوقف.

يذكر بعض الباحثين أن البويهيين طلبوا الاعتراف الرسمي بدولتهم من الخلافة الإسلامية مقابل أموال يضخّونها في خزينة الخلافة العباسية، وبعد الحصول على الاعتراف نكس البويهيون العهد ولم يسلموا الأموال للخلافة. حاول الخليفة استرجاع سلطاته واسقاط دولة البويهيين لكنّه أضرهم. ثم تمّ الاتفاق مع قادة جيش الخلافة والخليفة على تلك الصيغة المزدوجة غيلا الفعلية في رأس السلطة<sup>3</sup>.

عاش الباقلاني في ظل الدولة البويهية من ميلاده إلى وفاته، وكما كانت هناك دويلات إسلامية منتشرة في حياته عبر خريطة العالم الإسلامي مثل الدولة الغزنوية في أفغانستان والدولة الحمدانية في الشّام، كانت هناك حروب بين الدويلات الإسلامية لم تنقطع، كما أدّت الطموحات الشخصية لبعض القادة والشخصيات إلى

\_\_\_\_\_ حفريات حول المناظرات الدينية خلال سفارات تحرير الأسرى بين الدولة البيزنطية والعالم الإسلامي

محاولات الانفصال ببعض الأقاليم حتى داخل الدولة الواحدة كدولة بني بويه، كما ظهرت حركات سياسية دينية كحركة القرامطة .

حالة العالم الإسلامي الممزقة أوصاله، أدت إلى طمع الروم في الأراضي الإسلامية خصوصاً مع غياب قوة مركزية تدير الصراع في الجانب الإسلامي، الذي ازداد سوءاً مع ما تعرّض له بعض خلفاء الدولة العباسية من تنكيل، فضلاً عن التجريد من الصلاحيات نتيجة ضعفهم وإخلالهم بواجبهم ونظام التوريث الذي يجلس على عرش الخلافة من ليس أهلاً لها<sup>4</sup>.

ساءت العلاقات بين الخلافة والدولة البويهية خصوصاً مع التجاوزات الخطيرة في حق الخليفة من تنكيل وسجن وعزل، ويمكن الإشارة إلى أن الاختلاف المذهبي بين الخلافة العباسية والدولة البويهية قد يكون سبباً في ما سجلته كتب التاريخ من أحداث دامية.

يذكر بعض المؤرخين أن بني بويه كانوا يطلبون بلعن معاوية والإساءة للخلفاء الراشدين الثلاثة، وتعيين الشيعة في المناصب المفتاحية، كما حاولوا فرض بعض طقوس الشيعة في الاحتفالات الدينية العامة والخاصة بهم كيوم الغدير<sup>5</sup>.

ومن بين حكام الدولة البويهية الأقوى، كان عضد الدولة الذي استقدم الباقلائي إلى قصره وكان قد لقّب نفسه بشاهنشاه<sup>6</sup>.

من عناصر قوة الدولة البويهية أنّها قامت على الجند والحياة العسكرية ولكن هذا يحتاج إلى ضخ أموال كبيرة لتمويل حملاتها العسكرية، وأجور جنودها، وهذا ما أدى إلى السيطرة على خيرات المناطق التي استولوا عليها وتوجيهها إلى ما يخدم مصالحها، بالإضافة إلى فرض الضرائب وانتهاج سياسة المصادرات<sup>7</sup>.

من الأساسي معرفة خرائط الاختلاف المذهبي زمن الباقلائي والتي يمكن رسم أهم معالمها بما يشبه المحجين العقدي داخل نسيج الدولة العباسية، وكان ظاهراً زمن الباقلائي إذ يمكن ذكر:

1. الخلافة سنية .

2. الدولة البويهية شيعية

3. والأمة بين:

1.3 المعتزلة .

2.3 أهل الحديث .

3.3 الأشاعرة.

4.3 الماتريدية<sup>8</sup>.

وليس فيما هو متوفر من معلومات ودراسات، ما يحدّد نسب انتشار المذاهب بين الناس بدقة، كما تُفتقد الدراسات حول حقيقة التبني الشامل لأسس المذهب نظراً للخلافات الداخلية من جهة، ولصعوبة قياس التطابق بين تفكير الشخص الحقيقي ونموذج (قالب) المذهب المنتسب إليه. ويبدو من كتابات بعض المؤرخين أن

بني بويه كانوا ينتصرون للمذهب الاعتزالي ويعتّون أتباعه في المناصب الهامة، كما كانوا كغيرهم من الحكام يتنافسون على جلب الأدباء والعلماء، إلى مجالسهم للتباهي. ولابد من التذكير بمعارك التصنيف بين العلماء والباحثين، حيث يقدم المختلفون القرائن لإثبات انتماء شخصية ما إلى هذا المذهب أو ذاك. (كفرضية تبرأ الباقلائي من مذهبه).

### ثانيا: ركائز شخصية الباقلائي.

يقدم القاضي أبو بكر الباقلائي كرأس المتكلمين على مذهب الشافعي في زمانه، بل وعلى امتداد تاريخ المذهب حسب بعض الكتابات التاريخية، فهو: من أكثر الناس كلاما وتصنيفا في الكلام، فانتشرت عنه تصانيف كثيرة، منها التبصرة، وقد اختلفوا في مذهبه في الفروع فقليل شافعي وقليل مالكي.<sup>9</sup>

دراسة العلاقة بين العالم السني الباقلائي ودولة البويهيين ضرورة لأية دراسة أو مقارنة للحياة السياسية والعامة للعالم فضلا عن حياته الفكرية. تنقل بعض المراجع الأشعرية خصوصا، انبهار الملك البويهي بكلام الباقلائي عند لقائه إلى درجة عجيبة، ومن الشواهد المتداولة ما حدث في أول مواجهة للباقلاني في مجلس الملك البويهي:

و جرى له في هذا المجلس كلام كثير، أعجب به الملك. ولم يزل يحلو له كلامه، ويزحف عن سريره، حتى نزل عنه. وحصل بين يديه. ثم أقبل الملك على قاضي القضاة، فقال له: ألم أقل لك مذهب طبق الأرض، لابد له من ناصر؟ قال القاضي: فلما انقضى المجلس، صبحني بعض الحجاب إلى منزل هيا لي فيه، جميع ما نحتاج إليه.<sup>10</sup>

وتعبيرا عن اعتراف الملك البويهي بمقام الباقلائي جعله من خاصته ثم اعترف أن الباقلائي أحق منه بالحكم. هذا مع استحضار المواجهات الدّموية من أجل عرش الحكم تأسيسا وتثبيتا بين البويهيين وخصومهم في الداخل الإسلامي وخارجه، وتلك المواجهات بين الإخوة البويهيين أنفسهم المتنافسين على الأراضي الإسلامية:

ولم يزل مع الملك إلى أن قدم بغداد، ودفع إليه الملك ابنه، ليعلمه مذهب أهل السنة. وألف له التمهيد وقال الملك لقاضيه: فكرت بأي قتلة أقتله، لجلوسه حيث جلس بغير أمري. وأما الآن، فقد علمت أنه أحق بمكاني مني.<sup>11</sup>

لمعرفة أهمية الشخصية المختارة كنموذج تطبيقي لا بد من تتبع تراثها وبعض آراء العلماء حول اجتهاداتها. اهتم العلماء خصوصا من ابناء مذهب الباقلائي: الأشاعرة برصد تراثه وفهرسته فكانت المعالم الكبرى التالي:

1. الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والضلالة.
2. كتاب الاستشهاد.
3. كتاب إكفار الكفار المتأولين وحكم الدار.
4. كتاب التعديل والتجريح.
5. كتاب التمهيد.

6. كتاب شرح اللمع.
7. كتاب الأمانة الكبيرة.
8. كتاب الأمانة الصغيرة.
9. كتاب شرح أدب الجدل.
10. كتاب الأصول الكبير في الفقه.
11. كتاب الأصول الصغير.
12. كتاب مسائل من الأصول.
13. كتاب أمالي إجماع أهل المدينة.
14. كتاب فضل الجهاد.
15. كتاب المسائل.
16. كتاب المجالسات المنشورة.
17. كتاب على المتناسخين.
18. كتاب الحدود على أبي طاهر محمد بن عبد الله بن القاسم.
19. كتاب على المعتزلة فيما اشته به عليهم من تأويل القرآن.
20. كتاب المقدمات في أصول الديانات،
21. كتاب في أن المعدوم ليس بشيء.
22. كتاب نصره العباس وإمامة بنيه.
23. كتاب في المعجزات وهو جواب أهل استيحاب.
24. كتاب المسائل القسطنطينية.
25. كتاب الهداية.
26. كتاب جواب أهل فلسطين.
27. كتاب البغداديات.
28. كتاب النيسابورات.
29. كتاب الجرجانيات.
30. كتاب مسائل سأل عنها ابن عبد المؤمن.
31. كتاب الأصبهانيات.
32. كتاب التقريب والإرشاد في أصول الفقه،
33. كتاب نقد النقد على الهمداني .
34. كتاب المقنع في أصول الفقه.

35. كتاب الانتصار للقرآن.
  36. كتاب دقائق الكلام.
  37. كتاب الكرامات.
  38. كتاب نقض الفنون للحافظ.
  39. كتاب تصرف العباد.
  40. كتاب الفرق بين الخلق والاكساب.
  41. كتاب الأحكام والعلل.
  42. كتاب الدماء التي جرت بين الصحابة
  43. كتاب البيان.
  44. كتاب عن فرائض الدين وشرائع الإسلام.
  45. كتاب وصف ما يلزم من جرت عليه الأقلام، من معرفة الأحكام.
  46. كتاب مختصر التقريب والإرشاد الأصغر.
  47. كتاب مختصر التقريب والإرشاد الأوسط.
  48. كتاب مناقب الأئمة.
  49. كتاب التبصرة.
  50. كتاب رسالة الحرة.
  51. كتاب رسالة الأمير.
  52. كتاب كشف الاسرار في الرد على الباطنية.
  53. كتاب إعجاز القرآن.
  54. كتاب في إمامة بني العباس.
- التصنيف الموضوعاتي لهذه المؤلفات يحتاج إلى الاطلاع عليها مباشرة والتحقق من دقة العناوين، فأحيانا نفس الكتب تطبع بعناوين مختلفة بالإضافة إلى معيقات منهجية تحول دون هذه المهمة المركزية والتي اجتهد البعض في محاولة اقتراح تصنيف دقيق لها.
- وضمن جهود التصنيف الموضوعاتي تم استخراج عنوان مؤلف باعتبار انتمائه إلى دراسة الأديان:
1. المسائل القسطنطينية: وهذا الكتاب يحتوي على ما جرت بين الباقلائي وملك الروم وبطاريك النصارى من مناظرات، ولكن هذا الكتاب ليس بموجود حتى الآن مطبوعة أو مخطوطة .
  2. الباقلائي عند تقديم نفسه للإمبراطور قال: " وإني قد بعثت إليك لسان أهل الأرض تعظيما لك وتكرمة وإني رجل أتكلم على:
- 1.2 حدث العالم وإثبات محدثة وصفاته الواجبة له والمستحيلة عليه والجائزة في احكامه .



2.2. الوجدانية .

3.2. البراهمة .

4.2. المنانية .

5.2. المجوس.

6.2. اليهود.

7.2. النصارى.

8.2. أبين صحة ما أدعيه من ناحية العقل، وما يتعلق به من السمع والتوقيف، وأبين ذلك كله بالبرهان اللائح.

9.2. ارد على الاثنين والسبعين فرقة وأنصر حقي.

الروايات المتداولة تقول أن الإمبراطور انههر وصد من سعة علم الباقلاني فعرض عليه مقاسمة ملكه: فقال

لي يا مسلم اقع عندى واقاسمك في مملكتي. قلت كنت أفعل ذلك غير أني محجوز علي من جهة شرعي.

تاريخ الدولة البيزنطية يجعل السؤال التالي أكثر من ملح: الملك الذي قتل من أجله أفراد العائلة بعضهم

بعضا وقتلوا مئات الأشخاص حفاظا عليه، والمرتبط بوشائج المسيحية. هذا الملك يعرض بسخاء على الباقلاني

(عرض تنقل بعض المصادر والمراجع أنه تكرر مع علماء آخرين عرض عليهم الحكم المطلق من حكام مسلمين

وغير مسلمين؟؟؟).

### ثالثا: العلماء والباقلاني.

انتماء الباقلاني إلى الدائرة الأولى للحكام البويهيين منذ رحلته إلى شيراز، حيث كان عضد الدولة ثم إلى

بغداد حيث رحل الاثنان معا، ومع اختلاف المذهب لم يجعل العلماء يشككون في كتاباته وانتمائها للدائرة السنية

الأشعرية بل وريادتها لهذا التيار الفكري الإسلامي.

السفارة والمناظرة هما مرأتان لشخصية الباقلاني مع الاعتراف بالعجز عن رسم حدود لحقيقة ما حدث،

وحقيقة ما نقله الباقلاني وهو الشاهد الوحيد وحقيقة ما تداوله مريدوه وأبناء مذهبه، لكن نملك على الأقل بعض

آراء العلماء حول الشخصية<sup>12</sup>.

**1: أبو حيان التوحيدي:** سئل أبو حيان التوحيدي وهو من معاصري الباقلاني فقال عنه ما يعد طعن واضح:

فما شر الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذي لا تصبحينا

يزعم أنه ينصر السنة ويفهم المعتزلة وينشر الرواية، وهو في أضعاف ذلك على مذهب الخزمية، وطرائق

الملحدة. والله إن هذا لمن المصائب الكبار والخن الغلاظ، والأمراض التي ليس لها علاج<sup>13</sup>.

**2 : أبو محمد ابن حزم:** ذكر ابن حزم الباقلاني في حوالي أربعين موقعا من كتابه الفصل، فاتهمه بالكفر تارة

وبالضلال تارة أخرى، وأيضا اتهمه بالشرك والإلحاد وبعض الذكر فيه شتيمة وإهانة، وكانت كل القضايا التي طعن

فيها ابن حزم في الباقلاني من محاور العقيدة بين بعض مباحث علم الكلام والإمامة.

من نماذج ذلك: وكأنهم لم يسمعوا لقول الله تعالى: [أن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا]. فأخبر تعالى أنه يمسكها كما شاء دون تكلف ما لم يختبرنا الله تعالى به ولا جعل في العقول دليلاً عليه، ولو أن قائل هذا الحمق وقف على الحق وطالع شيئاً من براهين الهيئة، لخلج لما أتى به من الهوس، ومن شنعهم قول هذا الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن: "إن تقسيم آيات القرآن وترتيب مواضع سوره شيء فعله الناس، وليس هو من عند الله ولا من أمر رسول الله ﷺ فقد كذب هذا الجاهل وأفك".<sup>14</sup>

شاهد آخر: اختلف الناس في هل تعصى الأنبياء عليهم السلام أم لا فذهبت طائفة إلى أن رسل الله ﷺ يعصون الله في جميع الكبائر والصغائر عمداً، حاشى الكذب في التبليغ فقط، وهذا قول الكرامية من المرجئة، وقول ابن الطيب الباقلاني من الأشعرية ومن اتبعه، وهو قول اليهود والنصارى.<sup>15</sup>

هناك حوالي أربعين موقعا ذكر فيها ابن حزم.

**3: رأي الخطيب البغدادي الأشعري في الباقلاني:** يقول الخطيب البغدادي عن الباقلاني: "أما الكلام فكان أعرف الناس به وأحسنهم فيه خاطراً وأجودهم فيه لساناً وأوضحهم بياناً، وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم".<sup>16</sup>

ويوجد في الكتاب فقرة خاصة ليست بدعا في تراثنا ولكن إيرادها شاهد على بعض أساليب التزكية: عن القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الله البضاوي، قال: رأيت في المنام كأني دخلت مسجدي الذي أدرس فيه، فرأيت رجلاً جالساً في المحراب وآخر يقرأ عيه ويتلو تلاوة لا شيء أحسن منها، فقلت: من هذا القارئ، ومن الذي يقرأ عليه؟ فقبل لي: أما الجالس في المحراب فهو رسول الله ﷺ، وأما القارئ عليه فهو أبو بكر الأشعري يدرس عليه الشريعة.<sup>17</sup>

**4: رأي القاضي عياض الأشعري:** يصف الباقلاني: "الملقب بشيخ السنة ولسان الأمة المتكلم على مذهب المثبتة وأهل الحديث وطريقة أبي الحسن الأشعري إمام وقته".<sup>18</sup>

**5: رأي ابن خلكان:** يشير إلى منهج الباقلاني في المناظرات: "كان كثير التطويل في المناظرات مشهوراً بذلك عند الجماعة".<sup>19</sup> وهذه الملاحظة مهمة كعنصر محتمل في تفكيك مكونات مناظرة الباقلاني عند البيزنطيين. كما نجد من يعضدها في ما جاء في كتاب ابن عساكر: "الباقلاني ناظر أستاذة أبا عبد الله بن مجاهد الطائي إلى أن انفجر عمود الصبح وظهر كلام القاضي عليه".<sup>20</sup>

**6: رأي ابن تيمية:** نقل ابن تيمية عن بعض العلماء أنهم قالوا سمعنا جماعة من الثقات يقولون: "كان الشيخ أبو حامد الافراحي الذي طبق الأرض علماً إذا سعى لأداء صلاة الجمعة، يدخل الرباط المعروف بالمحاذي الجامع المنصور، ويقبل على الحاضرين ويقول شهدوا علي بأن القرآن كلام الله، غير مخلوق، كما قال الإمام أحمد بن حنبل، لا كما يقوله الباقلاني، وتكرر منه ذلك عدة جمعات، فسئل عن سبب ذلك فقال حتى ينتشر الخبر بين الناس أتى بريء مما هم عليه يعني الأشعرية ويبرئ من مذهب الباقلاني".<sup>21</sup>

تذكير أن بعض المرجع تذكر أن الباقلاني تبرأ من مذهبه وانتمى إلى مدرسة ابن تيمية.

**7: الباقلاني عند ابن خلدون:** أشار ابن خلدون إلى الباقلاني أثناء حديثه عن علم الكلام فقال: "وكثر أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري، واقتفى طريقته من بعده تلميذه ابن مجاهد وغيره، وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني، فتصدّر للإمامة في طريقتهم وهذّبها، ووضع المقدمات العقلية التي تتوقّف عليها الأدلة والأنظار، وجعل هذه القواعد تبعا للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك الأدلة عليها، إلّا أنّ صور الأدلة فيها بعض الأحيان، على غير الوجه الصناعي لسذاجة القوم، ولأن صناعة المنطق التي تسير بها الأدلة وتعتبر بها الأقيسة، ولم تكن حينئذ ظاهرة في الملة، ولو ظهر منها بعض الشيء فلم يأخذ به المتكلمون لملاستها للعلوم الفلسفية المباشرة للعقائد الشرعية بالجملة، فكانت مهجورة عندهم لذلك."<sup>22</sup>

يُقرأ رأي ابن خلدون من عدّة زوايا أولها انتمائه إلى نفس المذهب العقدي للباقلاني، أيضا من زاوية أنه رغم اعترافه بمجهود الباقلاني في عقلنة عرض المعتقدات إلا أنه تبه إلى وجود ثغرات منهجية لقلة باع أوائل المسلمين في صناعة المنطق لأسباب تاريخية، لكنّه أيضا يشير إلى أزمة أخرى في كتابات المتأخرين: "ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة والتبس عليهم شأن الموضوع في العلمين، فحسبوه فيهما واحدا من أشباه المسائل فيهما. واعلم أن المتكلمين لما كانوا يستدلون في أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها على وجود الباري وصفاته وهو نوع استدلالهم غالبا"<sup>23</sup>.

## 8: المستشرقون:

### المستشرق الألماني كارل بروكلمان.

اهتم هذا المستشرق بالتاريخ الفكري في الحضارة الإسلامية وآلف في محاور هامة منها كانت محل تحليل ونقد عند علماء المسلمين، دون اغفال جهوده بتفعيل مقاصد الأمر القرآني: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى اَلَا تَعْدِلُوْا﴾ (من الآية 8 من سورة المائدة).

يقول بروكلمان عن الباقلاني: " هو أحد تلاميذ الأشعري الناجحين في الجيل الثاني، ومؤسس مدرسة المتشكّكين في علم العقائد، وكان جدليا من الطراز الأول، وأرسله الخليفة عضد الدولة مرة سفيراً له وأدخل في علم الكلام آراء جديدة اقتبسها من الفلسفة اليونانية أو من معتقدات الكنيسة الشرقية، كالقول بالإرجاء المفردة والقول بالخلاء، والقول أن العرض لا يحمل عرضاً آخر وأنه لا يبقى زمانين."<sup>24</sup>

وبحصر بعض آراء المستشرقين في مصادر بلغاتهم: وجدت آراء غريبة نظير: أن يقول فسنينك مثلاً عن الباقلاني أنه ليس عندنا إلا مجرد اسم، وإلا يجد ماكدونالد ما يقوله عنه في مادة كلام في دائرة المعارف الإسلامية. ويقرّر بروكلمان أن الباقلاني أدخل في علم الكلم أفكاراً جديدة مأخوذة من الفلسفة اليونانية أو من المذاهب الاعتقادية الكنسية الشرقية، مثل فكرة الجوهر الفرد والخلاء، والقول بأن العرض لا يحتمل العرض، وأنه لا يبقى زمانين وقد جمع هورتن بعض النصوص المبينة لمذهب الباقلاني.<sup>25</sup>

عبارات المستشرق في توصيف الباقلاقي بالمتشكك، سبقه إليها من انتقدوا الباقلاقي من المسلمين بعبارات لا تقل حدة، ولكن أن يأتي الاتهام من مستشرق، فالقراءة يمكن أن تنحى في اتجاه المؤامرة.

**9: رأي محقق كتاب إعجاز القرآن للباقلاني:** يقول المحقق معلقاً على ما يتم نقله من اعجاب الإمبراطور البيزنطي من فطنة الباقلاقي ووقوع الهيبة في نفسه: "ولست أشك في أن هذه الرواية أسطورة من الأساطير التي نسجت خيوطها حول رحلة الباقلاقي إلى القسطنطينية". وأيضاً عن امتناعه من خلع عمامته ونزع خقه، وتهديده بعدم الدخول على الملك، ونزول الملك على رأيه وقول: "دعوه يدخل ومن معه كما يشاءون، ما يجعل هذه الفكرة الساذجة، بعيدة الوقوع".<sup>26</sup>

مبالغة المريدين وأتباع المذهب، وحتى غيرهم في رفع مقام علماء المسلمين إزاء خصومهم الدينين والسياسيين، موجودة في ثنايا كتب التراث، وهي عامة مع الكثير من الشخصيات.

**10: رأي محقق كتاب التمهيد: الخضري وأبي ريدة:** لكتاب التمهيد للباقلاني عدة تحقيقات لمسلمين ولغير مسلمين، وفي الطبعة التي حققها الخضري وأبو ريدة نجد الملاحظات المنهجية والتاريخية التالية: "ومهما يكن من أمر سفارة الباقلاقي بين عضد الدولة وبين ملك الروم، فنحن لا نعرف ظروفها التاريخية، وهي محوطة بحكايات لا تخلو من طرافة، ولعلها قد أضيف إليها شيء من الخيال، وصيغ ذلك في عبارات من شأنها أن تعظم قدر الباقلاقي وهو يقول أن عضد الدولة أرسله في بعض سفراته إلى ملك الروم ليظهر رفعة الإسلام، ويغضّ من التصراية وسببتيّن من تفاصيل المناقشات، ومن مسلك الباقلاقي في جملة أن مهتته كانت مدنية علمية هي أشبه ببعثة تبادل الآراء ومعرفة وجهات النظر الدينية، ولاسيما ليس عندنا في التاريخ ما يدلّ على اتصال وثيق بين عضد الدولة، وبين الروم، من شأنه أن يكون داعياً لبعثات سياسية أو حربية أو ما أشبه ذلك، وأن المؤرّخين يشيرون إلى هذه السفارة باختصار أو يذكرون ما يدلّ على صيغتها الفكرية الدينية الخالصة. فإذا كان ما في هذه المناقشات صحيحاً، وهو ما يشكّ فيه، ولو على الأقلّ في صورته هذه وألفاظه التي يحكى عليها، فلا بدّ من مزيد بحث في أسباب البعثة وملابساتها ونتاجها".<sup>27</sup>

ويضيفان: "أما القيمة الكبرى لعمل الباقلاقي، فهي إذا اقتصرنا على ما نجده في كتاب التمهيد لأنه ليس في متناول أيدينا غيره من كتبه، فقد كانت في التنهيج وفي بناء مذهب الأشاعرة الكلامي والاعتقادي بناء منظماً لا من حيث الطريقة المنطقية الجدلية فحسب، بل من حيث وضع المقدمات التي تنبني عليها الأدلة ومن حيث ترتيب هذه المقدمات بعضها بعد بعض، على نحو يدلّ على امتلاك ناصية فنّ الجدل، وعلى طول اعتبار في أصول الاستدلال لبناء كلامي يوازي ما يعرف في تاريخ الفلسفة الأوربية بالفلسفة المدرسية".<sup>28</sup>

المحققان تبها إلى أنّ ما كتبه الشيخ المالكي القاضي عياض هي أوفى ترجمة للباقلاني، وهما ينسراها كملحق للتمهيد لأول مرة، كما يتّهمان إلى احتوائها على تفصيل للمناظرات التي وقعت في مجلس عضد الدولة البويهى بين القاضي الباقلاقي ورؤساء المعتزلة، ومناظرة أخرى بينه وبين سليمان المنطقي السجستاني، وكذلك ذكر ما دار بين القاضي وبعض رجال الدين المسيحي في القسطنطينية في مجلس الملك باسيلوس الثاني إمبراطور بيزنطة.<sup>29</sup>

وجاء قول القاضي عياض: "وإليه انتهت رئاسة المالكيين في وقته وكان حسن الفقه عظيم".<sup>30</sup>  
وتأتي الجملة للغز: وقال الملك لقاضيه: "فكرت بأي قتلة أقتله، بجلوسه حيث جلس بغير أمري. وأما الآن، فقد علمت أنه أحق بمكاني مني".<sup>31</sup>

وعلى امتداد التاريخ الإسلامي، كانت ظاهرة الآراء المتناقضة حول الشخصيات تقريبا قاعدة فيها هو الأصولي الفقيه أبو بكر الصيرفي يقول دون مواربة: "كان صلاح القاضي الباقلاني أكثر من علمه، وما نفع الله هذه الأمة بكتبه، وبثها فيهم، إلا بحسن نيته واحتسابه بذلك".<sup>32</sup>

#### رابعا: في قصر الملك البويهي: عضد الدولة

مناظرة الباقلاني كانت مع إمبراطور الدولة البيزنطية في قصره على الأغلب، وعلاقة الباقلاني بالقصور لم تبدأ في هذه الحالة، بل هي مسبقة بمرحلة انضمامه إلى خاصّة الملك البويهي ولكنها بدأت بمجادلة قاسية حول تعليل الاقتراب من السلطة.

رواية انضمام الباقلاني المعتمدة حسب كتاب التقريب، ملخصها أنه كان مجلس الملك البويهي عضد الدولة فناخسرو بن بويه يضم علماء من خلفيات علمية مختلفة، وأكثرهم الفقهاء والمتكلمون على رأسهم قاضي القضاة المعتزلي بشر بن الحسين، وكانت تجري مناظرات بين الحاضرين في مواضيع شتى، وانتبه الملك في إحدى المرات إلى غياب الصوت الأشعري فتباحث الأمر مع قاضي قضاته، وفي المراجع الأشعرية يذكر أنّ الملك أسمى الأشاعرة بأهل الإثبات والحديث. فردّ قاضي القضاة أنّ المعنيين يُعدّون من العامة، وهم أصحاب تقليد ورواية، يروون الخبر وضده، ويعتقدونهما جميعا. وهذا التوصيف معتزلي واضح، بل هو أقرب لنقد ابن رشد لعلم الكلام عموما، بمن فيهم المعتزلة أنفسهم. لكن القاضي المعتزلي لم يضيّع الفرصة لمدح مذهبه وادّعاء أنه يكفي وحده للدّود عن الإسلام بكلّ المناهج.

وبحسب نفس الروايات رفض الملك هذا المنطق معلّلا أنه من المحال أن يخلو مذهب طبق الأرض من ناصر له. ثمّ كلف قاضي قضاته بجلب أحد ممثلي هذا المذهب، فتدّكر القاضي أنّ هناك اسمان شهيران لشابّ وشيخ بالبصرة يمكن أن يؤدّيا المهمة؛ وحسب الروايات هناك اتفاق أنّ أحد الاسمين هو الباقلاني، لكن الاختلاف فهو في الاسم الثاني بين أبي الحسن الباهلي وأبي بكر بن مجاهد.

أرسل قاضي القضاة ممثلين له لإحضار الشخصين. كان تلقّي الدّعوة من الشخصين متباينا، أحدهما كان رافضا رفضا جذريا بحجّة اختلاف المذهب العقدي والتكفير المتبادل، فقد وُصف الملك البويهي وقومه بالفسق والكفر والروافض، الذين لا يجوز وطأ بساطهم، وأنّ نيّة الملك ليست صادقة، فغرضه الوحيد والحقيقي هو التّباهي بانضمام كلّ المذاهب إلى مجلسه.

الموقف الثاني كان من الباقلاني الذي استنكر الرّفص مبزرا موقفه بالتذكير بنتيجة الرّفص الذي تبناه سابقا ابن كلاب والمحاسبي ومن حذا حذوهم زمن المأمون، حيث اتّهموه بالفاسق الواجب مقاطعة مجالسه، فكانت النتيجة ما حدث لأحمد بن حنبل. ويضيف الباقلاني في التعليل: لو اختار هؤلاء المعارضين طريق المناظرة بالحجّة

لما حدث كل ذلك ومن يرفضون دعوة الملك البويهى يسرون في نفس طريق المحاسبي ومن أيده من الانسحاب من الدّفاع بالحجّة، مع احتمال العودة إلى فتنة خلق القرآن ونفي الرّواية.

أفكار الباقلاّني واضحة، ويبدو أنّ موقفه من فتنة الإمام أحمد لم تكن موافقة لمحيطه، فهو يخاطب من عارضه في موقفه: " وأنت أيضا أيّها الشّيخ تسلك سبيلهم حتى يجري على الفقهاء ما جرى على أحمد، ويقولوا بخلق القرآن، ونفي الرّواية؟ وها أنا خارج إن لم تخرجوا. مع إصرار الباقلاّني دعا له بعض معارضيه بالسّنداد.<sup>33</sup>

ما سبق هو نموذج لمجادلة الباقلاّني لمن هم في دائرته مستقلا بموقف، وقد يفهم منه إلى جانب الاستقلال بالرأي الافتتان بالسلطة، وحسب المصادر والمراجع، استتب الأمر للباقلاّني في جوار الملوك البويهيين بعد انضمامه إلى دائرتهم إلى أن تويّ زمن بهاء الدّولة، والخليفة القادر بالله.

خرج الباقلاّني مع رسول عضد الدّولة إلى شيراز، ووصل يوم جمعة، وسأل عن صفة الدّخول على الملك فقيل له لا يمنع من دخول مجلس عضد الدولة أي صاحب طيلسان لأن له فيه مناظرة، فدخل الباقلاّني فوجد الملك جالسا على السّيرير محاطا بحراس مسلّحين ممّا يعني أنّ الباقلاّني لا يمكنه الجلوس إلّا في مكان لا يليق به، فتسلّل وجلس على يمين الملك بجوار قاضي القضاة، وكان هذا التّصرف مرفوضا وخطيرا في تقاليد وبرتوكول القصر، خصوصا مع جهل الجميع بمن يكون الباقلاّني، وكانت نتيجة هذا التّصرّف أن يحاول المكلفون بالأمن الانقضاض على الباقلاّني لولا تدخّل من يعرفه وتقدمه باعتباره الضيف المنتظر من البصرة.

في هذه القصّة أيضا خلفية لمعرفة مزاج الباقلاّني أو معرفة مزاج من صنع القصّة بعيدا عن الحقيقة، إذ سلوك العلماء عادة يعطي الأولويّة للوقار واحترام المجالس، فحتى في الصّلاة مع فضل الصّلاة في الصّفوف الأولى، لا يجوز تعدّي الرّقاب. وهذه الحادثة تنفيّد في تحليل طريقة دخول الباقلاّني قصر الإمبراطور البيزنطي.

أول اختبار من الملك عضد الدولة كان بموضوع مقترح من المعتزلة حول تكليف الله بما لا يطاق، حيث أن تقريب الباقلاّني من طرف عضد الدولة كان يحتاج إلى اختبار لتثبيته، ومن أجل ذلك طلب عضد الدّولة من مستشاريه وضع مسألة للتّقاش في حضور يغلب عليه المعتزلة، وكان السؤال: هل الله يكلف الخلق ما لا يطيقونه، وامتد الجدل بين تدقيق المصطلحات وتأويل بعض آيات القرآن الكريم.

وكان من ردود الحاضرين على الباقلاّني أنه يُسأل عن كلام مفهوم ويصرّ على الإجابة بالاحتمالات، وأنّ هذا ليس جوابا، ومتهمين الباقلاّني (ومن هم في دائرته) بتعوّدهم على المكابرة، وأنّ أمرهم مبني عن المغالبة، بينما خصومهم فهم أصحاب التّحصيل والتّحقيق الذين لا يلتفتون إلى اللّجاج. واحتجّ الملك على المهارات وإن كانت بعض المراجع الأشعرية ترجح ميله إلى الاعتراف بفوز الباقلاّني في المناظرة .

انتقل الباقلاّني مع الملك من شيراز إلى بغداد عاصمة الخلافة، وكان ضمن دائرة الدّولة البويهية ليكلّف بتدريس صمام الدّولة ابن عضد الدّولة، ومن ثمار هذه المهمة تأليف كتاب التمهيد: ثم دفع إليه الملك ابنه يعلّمه مذهب أهل السنة وألّف له كتاب التمهيد.<sup>34</sup>

سبقت الإشارة إلى بعض الروايات التي تفخر بأن عضد الدولة اعترف أنه كاد يقتل الباقلائي يوم دخل على مجلسه أول مرة وجلس في مكان خطير دون استئذان، ولكنه أصبح يرى أن الباقلائي أحقّ منه بالجلوس على كرسيّ العرش، وهذه ملاحظة يرفضها المنطق، فالصراعات الدّمويّة بين عضد الدولة وأفراد عائلته حول السّلطة واقتسامها دليل دامغ أنّه غير مفرط في عرشه، ولو على سبيل المزاح، وهو الموقف نفسه الذي سيحدث مع ملك الروم، ولا دليل أنّ هذه الرواية من الباقلائي لأنّ فكرة أن ملك يعترف بأن شخصا آخر ولو كان عالما أحقّ بالمنصب سنجدها مع شخصيات أخرى في ظروف تاريخية أخرى.<sup>35</sup>

### خامسا: الرحلة والسفارة

في موسوعة التاريخ لابن الأثير ذكر لبعض تفاصيل أسباب سفارة الباقلائي، وهي تعطي معالم مهمّة للتّحليل، وملخصها أنّ شخصيّة عسكريّة بيزنطيّة مهمّة تمردت على دولتها وجيشها، وهي ممّن احتكوا بالمسلمين في الحروب وعلموا بعض تقاليدهم وأعرافهم، اسمه ورد الرومي ونقل أسماء الأعلام الأعاجم إلى اللّغة العربيّة إشكال عويص مازال قائما إلى اليوم خصوصا عندما لا يذكر معه الاسم الأصلي. القائد العسكري استجار بعضد الدولة عبر ممثله في ديار بكر، وطلب التّصرة ضدّ دولته عارضا أن يكون حليفا مطيعا وباذلا سخيا في الخراج إذا ساعده على الوصول إلى الحكم. وكان التّمرد بعد أن توفّي الملك أرمانوس مخلّقا ولدين صغيرين ورثين شرعيين، ممّا شجّع بعض الجنود، وهم في مهمّة خارجيّة على تشجيع قائدهم نقفور على تولّي الحكم. قبل القائد وتزوّج أم الوريثين ثم عمل على استبعادهما، لكن أم الوريثين انتقمت بالتآمر مع أحد قادة الجيش على قتل نقفور زوجها وهو ما حدث. وتزوّج أم الوريثين بمن ساعدها، لكنّه أيضا حاول استبعاد الوريثين وأقهما وتعيين ابنه ورثا شرعيّا فاستتب له الأمر قليلا، فركّز على محاربة المسلمين. في هذا الجو الدّموي قامت أم الوريثين بالتّخطيط لقتل الوريث الجديد فخاف والده عليه فعاد مسرعا إلى عاصمة الدولة لكنه مات في الطريق. وبدأت رحلة سباق قويّ على منصب رأس الإمبراطورية وكان من المتسابقين أحد قادة الجيوش: وردّ بن منير الذي طمع في الاستيلاء على العرش علنا بالتّمرد أيضا. وحاول الاستعانة بالمسلمين في الدّويلات المستقلّة عن الخلافة وهم أعداء الدولة السّياسيين والدينيين، وكان ذلك بكلّ الطّرق بما في ذلك المصاهرة وكشف أخطر أسرار الدولة واحتاج إلى مساندة الدولة البويهية.<sup>36</sup>

هذه التفاصيل هي جزء من خلفية السفارة والمناظرة بين الباقلائي ورأس السلطة البيزنطية.

كبر الوريثان وأصبح باستطاعتهم التّخطيط لحماية العرش، فراسلا الخليفة وسلاطين الدّويلات المسلمة للتفاوض على تسليم قائد الجيش المتمرد الطّامع في عرش الإمبراطورية بعد أن هزمه في مواجهة عسكريّة بمؤازرة بعض الأمراء المسلمين. استنجد المتمرد بعضد الدولة ففتح الأبواب أمام هذا الأخير للتّفكير في أحسن السّبيل للاستفادة من الصّيد الغالي: المتمرد. فأعطى له الأمان ريثما يجد أحسن الخطط للتعامل مع عروض الإمبراطورين.<sup>37</sup>

هناك ظروف جيوسياسية طرأت على علاقات البيزنطيين بالمسلمين والقضايا الأساسية بين الضفتين هي الأراضي والأسرى، والخوران يتم التعامل مع إحداثيتهما كما سيبين بخلفية دينية سياسية، وللوصول إلى أقصى مستويات الذكاء في التفاوض لابد من معرفة أدق الجزئيات.

هل تم تحضير الباقلاني لهذه المهمة؟ هل كان مجرد حامل مشروع معاهدة أم كان مفوضاً للبحث في بنود معاهدة؟ لا نجد في ما توفر من كتابات ما يفيد كيفية التحضير لهذه المهمة، فعلينا البحث عن زاد الباقلاني في معرفة معتقدات البيزنطيين، وزاده في قواعد المناظرة خصوصاً مع الآخر، وأيضاً فنون التفاوض وحدودها مع دولة ورثت ثقافة سياسية من الدولة الرومانية الأم ومن التراث اليوناني.

نبحث إذن عن مؤشرات وقرائن قد تساعد على الإجابة.

يمكن تلخيص ما جاء كمحطات للرحلة بعد تلقّي الباقلاني التكليف بالمهمة، وكان هذا على ضفاف دجلة :

1- في رواية أن الملك أو وزيره شيع الباقلاني إلى ضفاف دجلة، أين توجد سفينة رحلة الباقلاني، والبعض الآخر يرى أن الباقلاني هو الذي ذهب إلى قصر الملك ليودّعه.

2- سأل الملك القاضي هل أخذ الطّوالع يعني النجوم فامتعض الباقلاني من السؤال فأردف الملك يسأل الباقلاني إن كان لا يقول بالنجوم. يلاحظ هنا الافتقاد لحلقة في التسلسل: هل اللقاءات بين الباقلاني والملك خلال المناظرات في قصره وتعليمه لابنه لم يعلم تعارض الأخذ بالطّوالع مع عقيدة الباقلاني، وهل الباقلاني المقرب من السلطنة كان جاهلاً بهذه الأعراف؟.

3- الباقلاني يعلّل رفضه الاعتقاد في الطّوالع، وأنّ إيمانه راسخ بأنّ النجوم في السماء، وأنّها رجوم للشياطين، والتّاس يهتدون بها في البرّ والبحر، وهي ليست مدبرة للعالم، وتفعل الخير والشرّ، وأنّ الذي يجري في الأرض من الكائنات من تأثيرها كما يقول أصحاب النجوم.

4- لم يقتنع الملك (أو الوزير) بكلام القاضي فطالب بإحضار المنجم ابن الصوفي.

5- ابن الصوفي يسمع لاعتراض الباقلاني، ويوضّح من جهته حدود علم التنجيم الذي لا تتعارض مع قدرة الله، وأنهى بأنّه صانع لا صاحب جدل، ولكنّه أرشد إلى من هو أهل للمجادلة: أبي سليمان المنطقي.

7- أبو سليمان المنطقي يسأل الباقلاني أسئلة معيّنة في القدرة المطلقة لله عزوجل مثلاً: عشرة ركبو في سفينة يعبرون إلى الجانب الآخر من النهر، فلما وصلوا صاروا أحد عشر فإذا قيل لهم: هذا الحادي عشر، فيقول الله خلقه فإن قلت هذا محال كفروني ومن كان بهذه المنزلة لا يكلم. كان ردّ الباقلاني أنّ الله على كلّ شيء قدير وأنه قادر أن يخلق في السفينة غير من ركب فيها لكنّه لا تحرق العادة إلّا في زمن نبيّ.

8- أبو سليمان المنطقي بعد تحليله لإجابات الباقلاني يتهم هذا الأخير ومن هم في دائرته بأنهم تعودوا المكابرة، وأمّهم مبنية عن المغالبة ونحن أصحاب التحصيل والتّحقيق، ولا نلتفت إلى اللّجاج ليحتجّ الباقلاني بدوره أن المنطقي ومن هم في دائرته: اخلياء مما يدعو وإن كان عنده شيء من التّحصيل والتّحقيق فليذكره حتى أبين له سره.



9- الغريب بعد هذه المحاججة والجدل، الملك أو الوزير لم يتخذ موقفا ولم يبد مع ذلك اقتناعا برأي الباقلائي، وبقيت الأعراف كما هي في مسألة الطّوابع وبقيت التّهم بين المنطقي والباقلاني قائمة، لكن الرّواة من دائرة الباقلائي يضيفون أنّ الملك يحكم بأن المنطقي استعفى عن المناظرة والظاهر، ثم يدعو الملك للباقلاني بالسّير على بركة الله.<sup>38</sup>

أما عن أهداف الرحلة: رحلة الباقلائي لم تكن الأولى التي يقوم بها عالم دين ولم تكن الأخيرة، ولكن تعليل اختيار عالم دين في مهمّات سياسيّة دقيقة، يحتاج إلى الإمام بتفاصيل دقيقة في الحياة السياسيّة والفكرية زمن الباقلائي، مع الإشارة إلى حضور الدبلوماسية الدّينية في كلّ الثقافات والحضارات محقّقا التمهيد رأيا: إن الغرض الذي رمى إليه عضد الدولة من بعثة الباقلائي إلى بيزنطية هو إرضاء شعور المسلمين بالسّعي في تحرير أسراهم المعذّبين لدى الرّوم.<sup>39</sup>

الملايسات الحقيقيّة لأسباب الرّحلة غير واضحة، ولكن هذا التعليل فيه شيء من الوجهة عندما تدرس خصائص الأسر في الدولة البيزنطيّة وفي العالم الإسلامي، لكن هناك اشكال مع قضية المتمرّد.

تخلّلت الرّحلة حلقات تختلف المراجع في ذكرها وذكر تفاصيلها. ويبقى الاحتفاء بتغلّب الباقلائي على المنجم وعلى المنطقي بهروب الأوّل من مواصلة مناظرة الباقلائي وبتوقيف الثّاني للمناظرة باعتبار اختلاف مناهج المتكلّمين عن مناهج المنطقة، ويفسّر مناصرو الباقلائي أن التّبريرين اعتراف بالهزيمة.<sup>40</sup>

هذا نموذج من المناظرات التي تنتهي من غير حسم ولا ترجيح، لذلك اهتم العلماء بخصائص المناظرات، وهل هي وسيلة للتّعلم والتّحصيل العلميّين وتثبيت اليقين أو العكس؟

#### سادسا: المناظرة وسيلة للجدل أو منصة لتسويق الذات؟

التعريف الاجرائي للمناظرة هو التّظر بالبصيرة، وحوار بين طرفين كلّ منهما يؤيّد رأيه ويطل رأيه الطرف الآخر، وتطلق حصريّا على المواجهة العلنيّة أي على ملأ من الناس.<sup>41</sup>

قد تكون المناظرة بين أتباع الدّين الواحد في قضايا جدليّة، وقد تكون بين أتباع أديان مختلفة في موضوعات محدّدة أو متشابهة.

وضع العلماء قواعد لاختيار محاور المناظرات حتى لا تتحوّل إلى ثرثرة، وحدّدوا قواعد اجرائها حتى لا تحيد عن الوقار أخلاقيا والاحترام علميّا، ولتحديد أبعادها تمييزا لها عن أشباهها ونظائرها من أساليب التّقاش بين العلماء يذكر محمد أبو زهرة: المناظرة يكون الغرض منها الوصول إلى الصّواب في الموضوع الذي اختلفت أنظار المتناقشين فيه والجدل يكون الغرض منه الزام الخصم والتغلّب عليه في مقام الاستدلال.<sup>42</sup>

وحرصا على تنزيه المناظرة عن آفات تبعد المتناظرين وجمهورهم عن الجادة، يشرح محمد أبو زهرة آفة من آفات المناظرة: " المكابرة لا يكون الغرض منها الزام الخصم ولا الوصول للحقّ بل اجتياز المجلس والشّهرة أو مطلق اللّجاجة أو غير ذلك من الأغراض التي لا تغني في الحقّ فتبيلا.<sup>43</sup>

وفي القرن الخامس الهجري قبل محمد أبو زهرة وضع أبو حامد الغزالي في الجزء الأول من أحيائه معالم بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق: "منع جميع الأخلاق المذمومة عند الله، المحمودة عند عدو الله إبليس، هو المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام، وإظهار الفضل والشرف، والتشدد عند الناس، وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس."

وينسب هذا النوع من المناظرة إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة، وتركية النفس، وحب الجاه وغيرها، كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة. وكما أنّ الذي خيّر بين الشرب والفواحش وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه، فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الإفحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة، دعاه ذلك إلى إضمار الخبايا كلها في النفس، وهيّج فيه جميع الأخلاق المذمومة.

كما رصد ابن خلدون في القرن الثامن الهجري معيقات الاستفادة من المناظرات كما بين جهود العلماء في تسييج الحدود الأخلاقية والعلمية لاجرائها: "لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً، وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عناته في الاحتجاج، ومنه ما يكون صواباً ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول."<sup>44</sup>

يضيف ابن خلدون في تعداد آفات المناظرات: "في المناقشة قد يبتدأ المناقشان متناظرين طالبين للحق فينقدح في ذهن أحدهما رأي يثبت عليه ويأخذ في جذب خصمه إليه وإلزامه به، وحينئذ تنقلب المناظرة جدلاً، وقد تدفعه اللّحاجة إلى التعصّب لرأيه وتأخذه العزة بالإثم، تبدو له الحجج واضحة على نقيض رأيه ويدهه خصمه بالدليل تلو الدليل فلا يجبر جواباً، ومع ذلك يستمرّ في لجأته فينتقل الجدل إلى مكابرة."<sup>45</sup>

التشخيص الدقيق لحدود المناظرات بضمن الانتصار للحق، يجب أن يستحضر عند دراسة المناظرات التي نقلتها الكتب أو التي تجرى اليوم عبر الوسائط، خصوصاً فيما يتعلّق بمسائل العقائد والأديان بعيداً عن الحكمة التي سبقت الموعظة في القرآن الكريم .

في الجانب الفكري ضمن خريطة تضاريس انتاج العقل المسلم، تذكر كتب التاريخ الإسلامية المناظرات التي كانت بين اتجاهات متنوعة في الاجتهاد؛ من نماذج ذلك: مناظرات اللّغويين ومناظرات أهل الرأي وأهل الحديث، وما حدث بعد تأسيس المذاهب الفقهيّة والمذاهب الكلاميّة، وحتى عبر معابر أخرى.

لم تكن السياسة بعيدة عن هذا الفضاء من تشجيع المناظرات في مجالس الخلفاء والوزراء، والأخطر تدخل السياسة في ترجيح الآراء كما فعل المأمون بمساندة آراء المعتزلة في خلق القرآن الكريم وامتحان العلماء في ذلك، وهو ما فعله أيضاً خلفاؤه إلى عهد المتوكل في الاتجاه المقابل. يقول اليعقوبي في تاريخه: "نحى المتوكل الناس عن الكلام في القرآن وأطلق من كان في السجون من أهل البلدان، ومن أخذ في خلافة الواثق، فحلاهم جميعاً وكساهم، وكتب إلى الآفاق كتباً ينهي عن المناظرة والجدل."<sup>46</sup>

المناظرة مع أتباع الأديان.

انتقلت المناظرات أيضا بين المسلمين وأتباع الأديان الأخرى في ملابسات لم يكشف عن تفاصيلها الدقيقة إلى اليوم، وإن كانت بعض المؤشرات توحي بأن هناك مساحات ملعمة مثل احداثيات وجود شخصيات من أتباع الأديان الأخرى السماوية وغير السماوية في أروقة الحكم في مختلف الدول الإسلامية بدرجات متفاوتة، وتأثير ذلك على جرأهم كيوحنا الدمشقي في الشرق الإسلامي وابن النغيلة في الغرب الإسلامي. وتذكر بعض الكتب مناظرات مسلمين مع بعض اليهود والمسيحيين وباعتبار الذكر مختصرا ومن جانب واحد من مسرح المناظرة، فإن البناء عليها في رسم تاريخ دقيق لمناظرات المسلمين مع الآخر يبقى معلقا. من تلك المناظرات يمكن ذكر: مناظرة الرازي مع نصراني في خوارزم، ومناظرات الوليد الباجي مع راهب فرنسي في الأندلس، ومناظرات الطرطوشي مع بعض اليهود، وغيرها.

ومع البيروني انتبه المسلمون إلى أن هناك طريقا ضروريا لدراسة الأديان وفق قواعد منهجية نضجت في الفضاء الإسلامي، منطلقة من القرآن الكريم والأحاديث والسنة، وكتابات مبكرة حول أديان الآخرين، وهو طريق المعرفة الموضوعية والمقارنات قبل المناظرات.

حالة الباقلاني في سفارته ومناظرته اجتمعت فيها المهمة الدبلوماسية والسياسية مع المناظرة الدينية مما يحيل إلى خصائص الدبلوماسية كقوابة للمناظرة الدينية.

الدبلوماسية وجه مهم في العلاقات الدولية، وقد تكون بواجهة سياسية أو برلمانية أو اقتصادية أو ثقافية أو دينية أو شعبية. ويمكن أن يقوم بالسفارة رجال دين لصالح دولة ينتمون إليها، أو لصالح هيئات ومؤسسات مستقلة، كما يمكن أن يكون موضوع السفارة حلولا لنزاعات سياسية، أو سعي للحصول على تيسيرات للتبشير، أو أي مشروع يهدف إلى صالح عام باحترام معتقدات الآخر.

الدبلوماسية الدينية يمكن أن يقودها رجال الحكومة أو هيئات وشخصيات غير حكومية. قد يبدو استخدام المصطلح حديثا في التداول الأكاديمي والإعلامي، ولكن مضمونه قديم يحيل إلى طريق موازي للدبلوماسية الرسمية ويخدم نفس مصالح الدبلوماسية الرسمية، ولكن عبر شبكة علاقات مختلفة. ويمكن اعتبار ارتباط الدبلوماسية بالدين تاريخيا مسألة بديهية لكون الدين يدخل كمؤثر في كل أمور الانسان والمجتمع.

كما يمكن ربط المصطلح بنشاط الأنبياء في التواصل مع الملوك والأمراء ورؤساء القبائل والمجموعات البشرية، من أجل قضايا مرتبطة بالفرد والمجتمع والصالح العام.

ولأن مصطلح الدين قد يحيل إلى معاني متناقضة بين الفضاءات الثقافية المختلفة، يفضل البعض مصطلح الدبلوماسية الروحية لتستوعب كل المعتقدات والمقدسات، حتى تلك غير المنضوية تحت التصنيفات الكلاسيكية. يعتبر البعض أن خصائص دور رجل الدين تجعله غير مرتبط بالحسابات الدنيوية الضيقة، وانطلاقا من ذلك يسمح له بأداء دور انساني خدمة لمفاوضات سياسية عسيرة. ويمكن القول أن المتفاوضين أو الخصوم قد يكونون منتمين إلى خلفيات سياسية وأيديولوجية مختلفة، لكنهم قد ينتمون أيضا ثقافيا إلى مرجعية دينية واحدة

مما ييسر حركة الدبلوماسية الدينية، وتبقى الأخلاق الانسانية هي الغالبة إذا تم التجرد من المصالح الضيقة والحسابات المتحيّزة.<sup>47</sup>

يختار أحيانا الحكام سفراء لمهام سياسية، رجال وعلماء دين، لأسباب مرتبطة بعضها بخصائص الشخصية المختارة، أو الظروف العامة، أو من أجل رسالة ضمنية يحملها هذا السفير، تظهر في المفاوضات أو التّقاشات مع المستضيفين، وتكون هذه التّقاشات نافذة على ثقافة البلد، ولذلك من الضروري دراسة ظروف السفارة في بلد السفير وبلد السفارة، وربط ذلك بالخلفية العلمية والفكرية للسفير وقبلهما الدينية. وهذا كلّه مطلوب عند تحليل مناظرة الباقلاني أثناء سفارته وهو للأسف غير موجود في الدراسات المتاحة حولها.

من أسماء العلماء المسلمين الذين كلّفوا بمهام دبلوماسية في التاريخ الإسلامي:

- 1- حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك القبط . ت30هـ.
- 2- دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل إمبراطور الروم. ت50هـ.
- 3- هبيرة بن المشمرج الكلبي إلى إمبراطور الصين ت96هـ.
- 4- عامر بن شراحيل الشعبي إلى ملك الروم. ت103هـ.
- 5- يحيى بن الحكم الغزال إلى ملك الروم. ت250هـ.
- 6- أبو بكر الباقلاني إلى إمبراطور الروم باسيل الثاني. ت403هـ.
- 7- ابن واصل الحموي أرسل إلى ملك صقلية . 697هـ
- 8- ابن بطوطة أرسل إلى إمبراطور الصين . ت779هـ
- 9- أحمد بن فضلان . أرسل إلى ملك البلغار . 923هـ

المراجع تذكر بعض التفاصيل عن سفارة كانت في 232هـ كلّف بها الشاعر الأندلسي يحيى بن الحكم الجياني الشهير بيحي الغزال، وكانت إلى بلاط ملك النورمان في الدنمارك، ومن المواقف التي تضمّنتها الرحلة، دخول الغزال على "هوريك الأول" واشترط السفير المسلم ألا يسجد للملك أثناء الدّخول، باعتبار السّجود في الإسلام لا يكون إلاّ لله، ثم يحدث أمر سيكتّر لاحقا مع الباقلاني وهو أنّ التّوازية الإسلامية تقول أن الملك أمر بتضييق باب الدّخول حتى يضطرّ السفير المسلم إلى الانحاء والسّجود رغما عنه، وتفطّن السفير المسلم للحيلة، فجلس على الأرض أثناء الدّخول وجعل قدميه في الأمام، ثم دخل زاحفا وعندما تجاوز الباب وقف مستقيما ثم ألقى التّحيّة على الملك.

وهناك سفارة أخرى بمهمة واضحة كانت في عام 309هـ، حيث أرسل الخليفة المقتدر بالله بعثة دبلوماسية دينية إلى أرض الصّقلية استجابة لطلب ملكهم، بهدف تعريفهم بالإسلام ومؤازرتهم في مواجهتهم لخصومهم، وكان على رأس البعثة الفقيه أحمد بن فضلان، والذي نقل لاحقا ما سجّله من ملاحظاته وثمار أسئلته وحواراته حول مراحل الرحلة وتفاصيلها.<sup>48</sup>

من الضروري أيضا القراءة المتأنية في ما تنقله المراجع عن سفارات أخرى لعلماء مسلمين إلى بلاد أجنبية، لمقارنة ذلك مع ما ذكر عن رحلة ومناظرة الباقلائي، وكأنّ هناك نموذجاً سرياً معتمداً يتمّ تداوله، ممّا يجعل من الضرورة الملحة انكباب الباحثين على هذه الجزئية اثباتاً أو نفيًا بالتعليل الواضح، والنموذج التالي يعضد تلك الضرورة:

بعث الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان العالم عامر بن شراحيل الشعبي إلى ملك الروم من أجل تسليمه رسالة خاصة، ليردّ الملك برسالة خاصة أيضاً إلى الخليفة مع وثائق السفارة، ثم يكتشف لاحقاً أن ملك الروم يبدي في الرسالة الخاصة تلك استغرابه من عدم تولية الشعبي زمام الخلافة لأنه أحقّ بها (الشعبي أنقذ نفسه بالقول أنّ ملك الروم لا يعرف ميزات الخليفة لذلك تجرّأ على الاقتراح واتفق الخليفة مع الشعبي أنّ ملاحظة ملك الروم كان هدفه دفع الخليفة إلى قتل الشعبي وأنّه فعل ذلك لأنّه كان يحسد الخليفة لأن الشعبي من رعاياه ومقرّبيه، وهو أيضاً ما ذكره بعض رواة سفارة الباقلائي من أنّ الإمبراطور البيزنطي عرض على الباقلائي مشاركته العرش اعترافاً بذكائه، ونفس الروايات تنقل أنّ الملك عضد الدولة اعترف أن الباقلائي أحقّ بعرش الحكم منه.

وفي كلّ تفاصيل هذه المناظرات يلاحظ الرواية الانتصارية التي نقلت للمسلمين من طرف واحد، وبما ينشر مشاعر الاستعلاء خصوصاً مع اضافات أخرى مثل أن الملوك الروم والبيزنطيين كانوا يتردّدون في مناظرة علماء المسلمين خوفاً من الهزيمة وتعتقداً من هالة الوقار المحيطة بعلماء المسلمين، وفي كلّ هذه الحالات يكون العالم المسلم من مركز قوّة، هو من يشجّع الأباطرة على بسط أسئلتهم؟؟. ومن الأسئلة التي يذكرها الشعبي والتي سألها الإمبراطور: خضاب الشعر والأمثال عند العرب والمفاضلة بين الأب والابن في العائلة، وظاهر جلياً أن الإجابات لم تكن تحتاج إلى عالم كما تبين، يضاف إلى هذا اقحام الشعبي لحديث غريب في المناظرة عن أقوام في آخر الزمان يشبهون الذئاب الصواري يكونون سقّاكين للدماء مرتكبين للكثير من الموبقات حتى لا يستجاب لدعاء أحيارهم. يجب التذكير هنا بضرورة استحضار الملاحظة الأساسية حول حدود إطار أصل رواية العالم وإضافات الرواة عبر العصور.<sup>49</sup>

كانت هناك أيضاً سفارات تفاوضية من أجل العلم والدين كمحاولة الخليفة المأمون استقدام عالم الرياضيات ثيو البيزنطي إلى بغداد مقابل تحرير أسرى بيزنطيين، لكن الملك البيزنطي رفض وأكرم عالمه الذي سيتولى أعلى منصب مسيحي لاحقاً. كما أوفد الخليفة الواثق وفداً إلى الروم لمعرفة تفاصيل ما اعتبر مقام أهل الكهف.<sup>50</sup>

في الجانب المسيحي كان البطارقة المقيمون في الدّول الإسلامية أشبه بسفراء سلام بين خلفاء وملوك المسلمين وملوك الروم وبيزنطة، إذا وقع حيف على المسلمين في بلاد أعدائهم يندبهم ولآة الإسلام إلى مطالعة الروم بما ينال النصارى في الشّام وغيرها من الاضطهاد إن هم أساءوا إلى المسلمين الواقعين في أسرهم أو الرّاحلين إليهم في التجارة.<sup>51</sup>

رجال الدين المسيحيين في الضفة المسيحية قاموا أيضا بنفس الأدوار زمن الحرب والسلم من سفارات ومناظرات في الاتجاه الآخر، أي في قصور الحكام المسلمين، ولكن الإشارة إلى هذا قليلة جدا رغم أن بعض الحكام المسلمين كانوا يعقدون في قصورهم مناظرات بين علماء المسلمين وعلماء أديان أخرى.

### سابعا: معالم العلاقات البيزنطية الإسلامية:

تحليل سفارة الباقلاقي ومناظرته في قصر الإمبراطور البيزنطي لا يحتاج فقط لمعرفة خصائص الوسيلة والأداة وملايسات التكليف بل يحتاج أيضا للحفر في خصائص العلاقات البينية. يلاحظ أن العلاقة بين العالم الإسلامي والدولة الرومانية والبيزنطية تغيرت معالمها تبعا للظروف الخاصة بالدولة الإسلامية وتلك الخاصة بالدولتين، كما تأثرت أيضا بالوضع العالمي شرقا وغربا. وكانت هناك صراعات دينية سياسية بين الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية البيزنطية منها، أساسا مركز الكرسي البابوي، بالإضافة إلى الخلافات العقائدية المذهبية. يمكن وضع معالم أولية للعلاقات البيزنطية الإسلامية لفهم الخلفية التي أطرت موضوع العلاقات والمواجهات بين المسلمين والمسيحيين، وإن كان الأمر يتعلق بجزء فقط من اتباع الديانتين في الخريطة العالمية آنذاك.

1. الغارات على تخوم السواحل والمفاوضات من أجل الهدنة.
2. وجود تجمعات بشرية على تلك التخوم من هذا الجانب أو الآخر كان تحديا كبيرا في المفاوضات من أجل تحرير الأسرى.
3. شهد البحر الأبيض المتوسط وجود أسرى في مختلف البلدان لم يكونوا مخلفات مواجهات عسكرية بل عمليات اختطاف.
4. في تاريخ المنطقة تحالفات مصلحية لم يكن الدين حاسمها، إذ كانت هناك حالات تحالف فيها مختلفا الدين ضد طرف ينتمي لأحد الحليفين.
5. في أحيان كثيرة تتحدد قيمة الأسير أو المختطف تبعا لمن يتولى مسؤولية تحريره، وأحيانا يتحول الأسرى والمختطفون إلى سلعة بقيمة تسويقية فقط، حيث يشتري المختطف كعبد من الجانبين ومن غير ارتباط بالدول (قرصنة اختطاف)<sup>52</sup>.

سيتم التركيز على الإمبراطورية البيزنطية لاعتبارات منهجية مرتبطة بمسار سفارة الباقلاقي. كانت هناك معارك بين الدولة البيزنطية والخلافة الإسلامية، كما كانت هناك معارك مع مختلف الدويلات الإسلامية الموازية للخلافة، وكان هناك انتصارات وهزائم في الجهتين، ولكن المسجل تاريخيا بتركيز هو أن: ضعف المسلمين جعل البيزنطيين يحققون انتصارات عديدة عليهم، من نتائجها اقتطاع أراضي من الخلافة التي مرقتها الفركة، وتكوين دويلات متنافسة فيما بينهم ومع مركز الخلافة، حتى أن الأمور وصلت في بعض الأحيان إلى أن: بعض حكام الروم وبيزنطة كانوا يطلبون الخراج والجزية من المسلمين في الثغور وفي غيرها.<sup>53</sup>

ولم يكن الصراع بين الدول الإسلامية والدولة البيزنطية مبنياً فقط على التنافس على المجالات الحيوية والأراضي، بل كانت الخلفية الدينية عامل رئيسي في إدارة الصراع.<sup>54</sup>

معاملة الأسرى كان مجالا شائكا في تاريخ العلاقات البيزنطية الإسلامية فقد تبين أنهم كانوا يلاقون عند الروم كل ألوان التعذيب حتى أن كثيرا منهم اضطروا إلى الدخول في المسيحية حيث كان يعرض عليهم التنصير في قالب تهديد بين التنصر والموت، ولم يبق ممن تمسك بإسلامه حياً إلا قليل جدا، والباقي بين متنصر وشهيد. في الجانب الإسلامي أيضا كان هناك أسرى من البيزنطيين ومن بينهم رجال دين من الصف الأول.<sup>55</sup>

لوحظ في إدارة الصراعات حول استرجاع وتحرير الأسرى دخول بنود غريبة ذات بعد ديني مقدس في المفاوضات، خصوصا ما تعلق بدور العبادة والآثار والزفات والدخائر المقدسة.

فقد حدث في مفاوضات بين الخليفة الظاهر الفاطمي والإمبراطور قسطنطين الثامن أن تم الاتفاق على بنود دقيقة منها أن تعتمد الخطبة للخليفة الفاطمي في مساجد بلاد الروم ويعاد بناء جامع القسطنطينية مقابل إعادة بناء كنيسة القيامة ببيت المقدس التي كان الحاكم الفاطمي قد هدمها كما جاء أيضا بند حول ترك الحرية للمسلمين الذين تحوّلوا إلى الإسلام في عهد الحاكم بالعودة إلى دينهم القلم.<sup>56</sup>

عيّنة أخرى من نماذج البنود الخاصة تلك تتعلق بمعتقد تبجيل الزفات المقدسة وكان هذا المعتقد مركزيا ورئيسيا في حياة البيزنطيين منذ تدشين القسطنطينية في عام 330م، فهم يعتقدون في قدرة الزفات على جلب الخير ودرء الشرور، لذلك سعى الأباطرة البيزنطيون إلى إدخال رموز الزفات في شارات الإمبراطورية، وأصبحت القسطنطينية أهم المستودعات الرئيسية للزفات المقدسة بداية بآثار المسيح، وكانوا يجوبون ببعضها في مواكب إذا تعرضوا لهجوم أو كوارث طبيعية.<sup>57</sup>

### ثامنا: الدين والثقافة الدينية

السؤال الجوهرى التابع لما سبق هو: هل كان يمكن فهم قيمة الآثار المسيحية والدخائر والزفات المقدسة دون معرفة الجدل المسيحي وتاريخ التفكير الديني وخرائطه المختلفة؟ وكل هذا مرتبط ببنود محتملة قد يضعها الخصم السياسى والدينى.

أهمية السؤال تبرر اهتمام الباحثين بالعلاقات الثقافية والفكرية والدينية بين الدولة الإسلامية بمختلف فروعها والدول المجاورة التي كانت لها معها علاقات سلمية وحرية تتخللها مفاوضات واحتكاكات في حالي الحرب والهدنة، كما تتبع الباحثون العلاقات العلنية الرسمية شبه الرسمية وحفروا بحثا عن آثار التعايش والحروب على تخوم الحدود وعبر شهادات الأسرى والمخطوفين، حيث كان من بين هؤلاء من دون تفاصيل مهمة حول اشكاليات مرتبطة بكل هذه المحاور وان كانت لا تخلو من الذاتية.

يتم التنبيه أيضا عبر تتبع جسور الالتقاء الحضاري الإسلامي الغربي إلى مرحلة ترجمة التراث اليوناني إلى اللغة العربية عبر جسر المسيحيين السريان وخصوصا النساطرة الذين نقلوا التراث اليوناني إلى السريانية أولا ومنها

إلى اللغة العربية. واعتبر البعض أن هذه العمليات سرّبت أفكارا ومعتقدات مسيحية لا ينتبه إليها إلا من عرف الجدل المسيحي الداخلي.<sup>58</sup>

كان المسلمون يسعون بجِدّ للحصول على المخطوطات اليونانية زمن الحرب وأثناء الغارات وفي فترات السّلم والهدنة، وكانوا يرسلون الرّسل لشراء المخطوطات اليونانية الموجودة في الدّول الغربية خصوصا الإمبراطورية البيزنطية بأثمان باهظة، ولم تكن الدّولة فقط من فعل ذلك بل الأفراد أيضا تنافسوا في اقتناء المخطوطات.<sup>59</sup>

لم يغفل المسلمون بما عند الآخر من علم باعتبار العلم سلاح حضاري استراتيجي، وكانت العلوم مشربة بالمعتقدات الدّينية وكانت للغرب آنذاك أطماع في ما عند المسلمين من العلم مثل المسلمين، ولكنهم أيضا كانوا يعرفون بأنّ الشرعية التاريخية للمسيحية من حيث النّشأة والآثار الأولى هي في البلاد الإسلامية، وهذا ولّد لديهم الشّعور بالإحباط الكبير. المؤرّخون ركّزوا على وجه آخر في هذه المسألة العقدية المركزية وهي التّطائر بين صراع عقدي عابر للأديان، والأمر يتعلّق بتحريم الصّور والتّمائيل، وهو تحريم موجود في الوصايا العشر التزم به اليهود والتّيار التاريخي الأوّل للمسيحية، وطبعا المسلمون كانوا دائما مجمعين على تحريم تقديس الصّور والتّمائيل. لكن في المسيحية وتحت تأثير الوثنية الرومانية وبقايا المعتقدات الوثنية الأخرى، ظهر تيّار يأوّل التّصوص ويدافع باستماتة عن هذه المعتقدات الجديدة. الملاحظة الأخيرة تزيد من إحباط المؤمنين بالصّور والذّخائر والآثار والرّفات المقدّسة لأنّهم يعلمون أنّها لا تلاقي التّبجيل عند المسلمين، ممّا يعرضها للإتلاف والصّيب والإهمال بل أنّ خشية ضياعها وضياح بركتها واعجازها تؤرّم حالة الإحباط تلك عندما يعلم من يدرّس الجدل الدّيني المسيحي الدّاخل أن هناك تيارا مسيحيا على وفاق تام مع المعتقد اليهودي والإسلامي، شاهده عندما أصدر ليو الثالث الحاكم البيزنطي (717-741) أمرا بكسر الصّلبان، ومحو الصّور والتّمائيل في الكنائس، بينما يوحنا الدمشقي الذي كان يعيش في ظلّ الدّولة الأموية واصل دفاعه المستميت عن الأيقونات دون ازعاج، بل وكتب دفاعات عقدية عن الصّور، أصبحت أهمّ سلاح أدبي دفاعي عن الأيقونات في الدّولة البيزنطية.<sup>60</sup>

المستشرقون بحثوا عن تناظر فكري ديني آخر في هذه المسألة كما فعل المستشرق فازيلييف مدّعي أنّ هناك تشابه بين الحركة الأيقونية والحركة العقلية في الإسلام في القرنين الثّامن والتّاسع فدراسة هاتين الحركتين من ناحية أثر إحداها على الأخرى قد يؤدي إلى نتائج عظيمة الأهمية لتاريخ الإمبراطوريتين الثّقافي. في الجانب الإسلامي تغلب العقل من خلال القول بخلق القرآن وقد اعتنق القول بعض حكام الدّولة العبّاسية فكانت إحدى البعثات التي توجّه إلى مناطق الثّغور لفداء الأسرى تشترط إقرار الأسير بخلق القرآن لافتدائه.<sup>61</sup>

هذه المساحات المفتوحة على مسالك عقدية في قضايا الأسرى والعلاقات الدبلوماسية ودور السّفراء في التّفاوض بناء على الخلفيات الدّينية والعقدية مهمة في الكثير من الدّراسات التي تكتفي بالطّابع الثّقني البحت وهذا تشويه للتّاريخ أو على الأقلّ بتر لعناصر أساسية.

في سياق هذه المسالك فتحت بوابة موقف اللاهوتيين البيزنطيين من الإسلام، فالشّاهد السّابق بيّن أنّ يوحنا الدمشقي الذي كتب ضد الإسلام الذي اعتبره هرطقة كان من مؤسسي الدّفاعات حول الأيقونات



والصّور المقدّسة، وهذه حلقة كثيفة في تاريخ مسيحيي العالم الإسلامي، يجب أن يعكف الباحثون على دراستها بأدوات مقارنة الأديان والصّراع الفكري الديني. هل الباقلاني تسلّح بما يفيد من هذا المحور؟ هل المناظرة مع رجال الدّين البيزنطيين كانت صدى لما يدور من جدل داخل الفكر المسيحي؟ هل في كتابات سابقة للباقلاني ما يفيد بعلمه بما رسمه اللاهوتيون البيزنطيون عن الإسلام؟

باحثة يونانية حاولت الوصول إلى أهم الأفكار التي رسّخها لاهوتيو الدّولة البيزنطيّة في مكتبة معرفة الآخر من أجل حسن إدارة مناظرات محتملة، ولكن قبل هذا معرفة الآخر لبناء خطط تبشيرية ناجحة وأيضاً من أجل التّفاوض التّاجح المبني على ما عند الآخر من مقدّسات ونقاط ضعف وقوّة. بينت الباحثة اليونانية أن:

1. العلاقات بين العالم البيزنطي (دولة بيزنطة من 330م إلى 1453م) والإسلام بدأت كمرحلة أولى مع ظهور الإسلام وكانت معظم كتابات الأدباء البيزنطيين آنذاك عن الإسلام تحمل في أكثرها طابعاً دفاعياً اعتراضياً.

وكانت كتابات ذلك العصر عن الإسلام تصنف بين الحوار والمجادلة.

2. اعتبرت الكاتبة أن المسلمين تلقوا صدى دينهم في كتابات المسيحي الأرثوذكسي الدمشقي اللاهوتي يوحنا الدمشقي (ت. 749م) الذي كان أوّل من حاول تأصيل الاتجاه الفكري والديني المناهض للإسلام والتّشكيك في رسالة نبيه، وذلك في كتابه الهرطقة المائة. كتاب يوحنا الدمشقي لقي انتشاراً لدى أبناء ملّته حيث أطلق على الإسلام اسم هرطقة الإسماعيليين.

3. جاء بعده تلميذه ثاودوروس أبو قرة (ت. 820م) الذي يعدّ أوّل كاتب مسيحي يكتب باللّغة العربيّة دفاعاً عن المسيحيّة ضد آراء اليهود والمسلمين المعارضة لها وهجوماً على الدّينيتين.

4. ومن القضايا التي ردّ فيها على المسلمين الثالوث الأقدس وألوهية المسيح وتحتدده والصّلب والأفانيّ، كما دافع عن انكار المسيحيين لنبوّة ومعجزات النّبي محمد عليه الصّلاة والسّلام وإنكار ذكره في الأنجيل مع تكرار ادعاءات تملّك الشّيطان للنّبي ومساوئ تعدّد الزّوجات الذي أباحه الإسلام.<sup>62</sup>

يلاحظ أنّ ما تنقله الباحثة اليونانية عن يوحنا الدمشقي وتلميذه يعوزه التّدكير بالمكانة السّياسيّة ليوحنا الدمشقي في رأس السّلطة الإسلاميّة قبل إقالته وتحوّله إلى الهجوم على معتقدات المسلمين، كما أن المواضيع والأفكار المذكورة للشخصيتين هو ما سيكرّره الكثير من المستشرقين لاحقاً. والباحث المسلم عليه البحث في أصداء هذا الهجوم المسيحي في كتابات المسلمين في تلك الفترة كمعرفة وتفكيك عناصر وردّ على الشّبهات واجتهاد في قراءة مصادر أديان الآخر للبحث أيضاً عمّا يمكن استثماره في النّقد العلمي.

تذكر الباحثة اليونانيّة معالم المرحلة الثّانية في علاقة الدّولة البيزنطية بالإسلام فترجعها إلى العقود الأولى من القرن التاسع الميلادي وتستمر إلى منتصف القرن الرابع عشر وزادت في هذه الحقبة الكتابات المهاجمة للإسلام بالاعتماد على ما كتبه يوحنا الدمشقي وتلميذه أبو قرة، مع إضافة اتّهامات جديدة كتبت أساساً في عاصمة

الدولة البيزنطية (مربط فرس سفارة الباقلافي) بعد أن كانت الكتابات السابقة في عقر عاصمة الخلافة الإسلامية وفي العراق وفلسطين.

يعني ما سبق أن خلقية مناظري الباقلافي هي هذا التراث فهل ظهر في المناظرة هذا المستوى من النقاش مدامت المناظرة تقدّم في إطار المواجهة العقدية بين متخصصين وممثّلين للدينين؟؟ وهل المناظرة حملت أصداً الجدل الداخلي في الصّفتين؟ ارتبطت بعض النقاشات العقدية المسيحية الداخلية بالهجوم عن الإسلام ممّا يجعل معرفة بيئة الهجوم على الإسلام ضرورياً لتفكيك عناصره، ويمكن ذكر مثال على هذه الحالة: شخصية رُسّمت قديساً لدى الأرثوذكس والكاثوليك وستكون طرفاً في الحرب العقدية المسيحية حول الأيقونات: تيوفان المعترف Theophane le confesseur (ت. 818م) حيث خصّص فصلاً في كتاب محوري له للهجوم على الإسلام وتبّيه محمد عليه الصلاة والسلام، ويعدّ أوّل من نشر أكذوبة وجريمة ادّعاء إصابته عليه الصلاة والسلام بالصّرغ وتحوّلت كتابات تيوفان المعترف مصدراً لكلّ الكتابات حول الإسلام في العصر البيزنطي وفترة انتشار أفكاره توافق سفارة الباقلافي.

وهناك في نفس الحقبة شخصية أخرى هاجمت الإسلام ونشرت الأباطيل حوله: الزّاهب جورج الذي نشر كتاباً بعنوان: تاريخ مقتضب، خصّص فيه فصلاً للهجوم على الإسلام ونبيّه، مثيراً أباطيل حول زواج النبي عليه الصلاة والسلام من خديجة رضي الله عنها وعلاقات الرسول بأهل الكتاب في رحلاته، مدّعياً أنّ الرسول "اقتبس" تفاصيل الإسلام من الأديان السابقة ومن المذاهب الهامشية غير المعترف بها للمسيحية، بل وصف النبي عليه الصلاة والسلام بالإلحاد والهوس.<sup>63</sup>

تتبع ما نقلته الباحثة اليونانية من أدبيات العصر البيزنطي بيّن البيئة التي سبّغت إليها الباقلافي ولكنها أيضاً تبين مصادر بعض شبهات المستشرقين في الأزمنة المعاصرة.

وتعد شخصية نيكيثا البيزنطي من محاور كتابات العصر البيزنطي ضد الإسلام خصوصاً أنّه كان يتقن العربية، واستغل ذلك للهجوم على القرآن الكريم ذاكراً شواهد من القرآن الكريم يؤولها بما يخدم هدفه في تشويه الإسلام ومدح المسيحية، ممّا يجعله مصدراً هاماً للهجوم على الإسلام في النصف الأوّل من القرن التاسع والنصف الأوّل من القرن العاشر الميلاديين. ويمثّل نيكيثا مثالا بارزاً لتحالف السياسي والديني، إذ كانت بعض كتاباته ضد الإسلام بإيعاز من الأباطرة البيزنطيين.

الملاحظة الأخيرة تعني أنّ الأباطرة البيزنطيين كانوا يحرّضون على الهجوم على الإسلام، ومن المؤكّد أنّ معلوماتهم عنه ليست عرضية أو هامشية، فهل انعكس ذلك على ما نقل لنا من مناظرة الباقلافي عندهم؟

تذكر الباحثة اليونانية نماذج من كتابات اللاهوتيين البيزنطيين ضد الإسلام، والتي لا تخرج عن المحاور السابقة، وتضيف أن هناك ما يتمّ تداوله على النطاق الشعبي من صور وآراء ساخرة ومتهمّة حول الإسلام ونبيّه، لا يستبعد أن يكون كتابها وناسريها من اللاهوتيين دون أن يمنع هذا وجود علاقات دبلوماسية بين الدولة البيزنطية والعالم الإسلامي بمختلف كياناته.

هناك دراسات حول هذا الصراع اللاهوتي المتشابك بالسياسة.<sup>64</sup>

### تاسعا: الطابع الديني للبرتوكول البيزنطي.

هناك ثلاث أنواع في الاتصالات الإسلامية البيزنطية: المراسلات المكتوبة والسفارات الشخصيّة وبعثات

فداء الأسرى.<sup>65</sup>

وعرفت الدولة البيزنطية أعرفا معقدة في البروتوكولات الدبلوماسية بعضها تم استنساخها في قصور الحكّام المسلمين. في الثقافة الإسلامية كانت هناك نماذج استقبال الرسول محمد عليه الصلاة والسلام في المسجد لوفود كثيرة، وكان زوار الدولة الإسلامية يجدون الخليفة عمر بن الخطاب نائما تحت شجرة، ولكن ابتداء من العصر الأموي بدأت قصور الحكّام تنسج أعرفا لا تختلف كثيرا عما كان موجودا عند الفرس والروم.

أضفى الفكر البيزنطي على الإمبراطور صفات مقدّسة تقربه من دائرة الألوهيّة، وهذا البعد الديني السياسي سينعكس على علاقات الإمبراطور بمحيطه من البيزنطيين بمختلف طبقاتهم وفتاتهم ومحيطه من الأجانب الذين تسمح لهم بروتوكولات الإمبراطورية بالوصول إليه.

وسفارة الباقلاني كمنظرته كانتا تحت شروط البروتوكول الصارم والمقدّس: فهل ما يتمّ تداوله عن تفاصيل

السفارة والمناظرة يتطابق مع القوانين البيزنطيّة أو فيه ما يطعن في صحتها؟

الشؤون الخارجيّة في الدولة البيزنطيّة كانت من اختصاص الوزير المسمى *logothete of the course*. يتولى استقبال السفراء الأجانب وإيفاد السفراء البيزنطيين واختيارهم، وبعض الشؤون الدبلوماسية يعهد بها إلى السلطات المحليّة. وفي إيطاليا كان القائد المحليّ يتّصل بالعرب وإن كانت السفارات الكبرى إلى القصور الإيطالية تعدّ في القسطنطينية وفي أواسط القرن العاشر كان أسقف اترنتو *archbishop of otranto* المسمى *vlattus* هو الذي رحل إلى المهديّة ليفتدي الأسرى النصارى. العمل الدبلوماسي لم ينضبط في جهاز دائم بالمعنى العصري، بل كان كل مبشّر أو تاجر يرحل إلى الخارج ويحصل على معلومات نافعة للدولة عن الجهات التي ذهب إليها، خاصة الأشخاص المؤالين الذين يحسن إمدادهم بالهدايا مع تحديد أنواع تلك الهدايا، فلم يكن هناك سفراء دائمون لبيزنطة في أي بلد أجنبي.<sup>66</sup>

الطابع الظاهر للدبلوماسية البيزنطيّة هو الشكليّة الجامدة التي وضعت للمبالغة في تقرير العظمة

الإمبراطورية في الأذهان فكان السفير الأجنبي لا يكاد يصل إلى القسطنطينية حتى يحاصر بقواعد صارمة للبرتوكول حتى لا يقابل غير المختصّين، وعندما يؤذن له بالدخول إلى الحضرة؟ الإمبراطورية كان يجري استقباله وفق مراسم خاصة حسب مركزه في بلاده وفي خلال المقابلة الأولى يظلّ الإمبراطور ساكنا كأثّة إله معبود، وكان على المبعوث أن يسجد إمام الإمبراطور، وبعد ذلك يبدأ اتصاله بالإمبراطور في وليمة سياسيّة أو مقابلة شخصيّة ونجد في المراسم *de cermoniis* لقسطنطين بوفيروجيتوس وصفا دقيقا لدور كل طبقة من الهيئة الحاكمة بالإمبراطورية في

سلسلة الاستقبالات.<sup>67</sup>

تحليل ما جاء في المراجع الإسلامية عن بروتوكول دخول الباقلائي على الإمبراطور يجب تحليله بهذه القوانين التي سبقت الباقلائي، ولا علاقة لها بمخصوصة به كما يرى البعض. هناك إذن شبكة ارتباط بين الفكر الديني والسياسي والدبلوماسي والبروتوكولي مما يجعل من المستحيل فهم مكوّن دون ربطه بسائر المكونات، وفي هذا المناخ كانت سفارة الباقلائي الذي يركّز في إيرادها على كلّ العناصر المذكورة، ولكن تبقى هنا أيضا الحاجة السؤال حول مدى تطابق الروايات عن المناظرة والسفارة بما هو معلوم في تاريخ البيزنطيين.

لم تكن استقبالات السفراء والمبعوثين بين الجدران المغلقة للقصور فقط، بل كانت هناك أعراف أخرى امعانا في إشعار الضيف بقوة الإمبراطور المقدّس إذ سيعاقب بالسجن إذا صدر من الضيف ما يخذش كبرياء الإمبراطور، وهنا أيضا نستحضر ما جاء في بعض روايات المناظرة من جرأة الباقلائي على طقوس وأعراف الدولة البيزنطية وندية بينه وبين الإمبراطور بل وتعالى من الباقلائي إزاء الإمبراطور: وقد يطاف ببعض المبعوثين الأجانب على كنوز القصر أو مواضع الآثار، ويتاح لهم شهود الألعاب، ولكن المبعوث الأجنبي معرّض طوال مدّة إقامته في الأراضي البيزنطية للمراقبة الدقيقة، إذ ينبغي أن يعود إلى وطنه وهو لا يعلم عن بيزنطة إلا ما أرادت له الحكومة الإمبراطورية أن يعلم وإذا ما كان شيء من سلوكه أو حديثه يقلّ عن التوقير الواجب ألقي في السجن فوراً.<sup>68</sup>

قد يذهل الباحث عن هذه التفاصيل بحثا عن الأحداث التي صوّرها بعض الناقليين مبتورة عن سياقاتها وخلفياتها، وهذا الموقف يسحب المصدقية من أي تحليل أو استنتاج أو توظيف لما يصنف تحت باب "انتصارات الباقلائي في مناظرة النصارى".

الحقبة التي جرت فيها سفارة الباقلائي لها معالمها الخاصة في تاريخ الدولة البيزنطية حيث تقسم الإمبراطورية البيزنطية إلى مراحل إحداها: المرحلة الخامسة الممتدة بين سنتي: 867-1057 وهي مرحلة العائلة المقدونية التي بدأت بباسيل الأول، وتحلّت هذه الفترة انقلابات واغتيالات داخل الاسرة بين أفراد العائلة: زوجة وأبناء وغيرها من الروابط مع ضرورة التذكير هنا أنه رغم الصراعات الدموية بين أفراد العائلة الواحدة فان الناجي من هذه الصراعات يصبح حاكما شرعيا مع كل الصفات الدينية الاستثنائية المثبتة له: مكانة الامبراطور البيزنطي الدينية تأخذ أبعادها من اصفاء الاصطفاء الالهي على تقلده زمام الحكم باعتباره صفي الله الذي وقع عليه الاختيار منذ ولادته لتحقيق ارادة السماء فالمرشح الناجح هو بالضرورة من اختارته المشيئة الإلهية بغض النظر عن طريقة وصوله إلى العرش.<sup>69</sup>

هذه أيضا معلومات يجب استحضارها عند تحليل ما قدم على أنه استسلام الإمبراطور ورجال الدين المسيحيين أمام حجّة الباقلائي في كل الأمور التي نوقشت خلال المناظرة بأجزائها وتستحضر عند افتخار البعض بأن الإمبراطور عرض نصف عرشه على الباقلائي.

من نتائج مقام الإمبراطور الديني أنه يستطيع الدخول إلى المعبد المقدّس ويقترّب من المذبح الممنوع عن الناس، وبإمكانه أن يُقبل ستار المذبح ويتناول بيده الخبز المقدس، وعهدت له العناية الإلهية كما عهدت لبطرس من قبل رعاية أتباع المسيح، ومن علامات كهانة الإمبراطور ابتداء من القرن التاسع عمل رمزي تقديسي يتم في

حفل التتويج حيث يقوم البطريق بمسح الإمبراطور بالزيت المقدس وهذا تعبير عن المشيئة الإلهية.<sup>70</sup> ويؤصل لمقام الإمبراطور المقدس بإسقاط عقدي: كما قال المسيح أنه وارث هذا العالم فعلى نائبه أن يدعي إدخال العالم في دائرة ملكه.<sup>71</sup>

وحياة الإمبراطور في قصره نموذج التأله الذي سينعكس على سلوك الحاكم مع أبناء قومه ومن يزوره مفاوضاً أو سفيراً.

الإمبراطور كان محاطاً بمهيئة كبيرة قائمة على شؤون البلاط وأعماله داخل زوايا وأروقة وغرف القصر وخارجه، حيث تخضع في توجيهها لطقوس البلاط الصارمة، ولائحة هذه الطقوس كانت جزءاً من سياسة الحكومة البيزنطية، وهناك تنظيم دقيق لقواعد التصرف ومفصل في أدوار كل طبقة وكل فئة سواء في الاستقبالات الرسمية أو الاحتفالات المتنوعة.<sup>72</sup>

هناك تفصيل لأنواع الملابس وحتى الحركات التي تؤدي في المراسيم والاحتفالات الإمبراطورية البيزنطية.<sup>73</sup> هناك أيضاً صرامة في إلزام زائري البلاط بالبرتوكولات الإمبراطورية الدالة على الأبهة، حيث تطبق على الجميع: هذه الأبهة لها وقعها على رعايا الإمبراطور في الداخل، وعلى زوار عاصمته وبلاطه من زعماء البربر والسهول والصحاري الذين سيندهشون إلى حد الصدمة أمام عجائب العاصمة والقصر.

يشرح نورمان ميتز أعراف الاستقبال في بلاط الإمبراطور: "كان على الزائر في رعاية موظفي الإمبراطور ليمثل بين يدي الإمبراطور أن يمر في مناهة من الدهاليز الرخامية وغرف غنية بالسيفساء والأردية الذهبية، يحفّ به النبلاء والأساقفة والقادة وأعضاء مجلس الشيوخ، بينما يعزف أرغيت الكنيسة، تصاحبه فرق المغنين بالكنيسة والخصيان، ثم أخيراً يسجد مأخوذاً بهذه الفخامة التي لا تنتهي في حضرة الصامت الوقور سيد روما الجديدة وورث قسطنطين، وهو متربّع على عرش القياصرة، وقبل أن يسمح له بالتهاوض يرى الإمبراطور والعرش وفد تغيّرت حلته التي رآها حين نظر إليه آخر مرة يراه وهو ينظر إليه كما ينظر الإله إلى أحد البشر؛ ترى من ذا الذي يسمع زئير الأسود الذهبية حول العرش وتغريد الأطيّار."<sup>74</sup>

ويبرر آدم ميتز هذا الإبحار للزوار باعتباره وسيلة ضغط نفسية تخفض من قدرة التفكير الواضح للزوار: من يستطيع بعد ذلك أن يرفض أوامر الإمبراطور، إنه لن يمكث طويلاً حتى يشرد ذهنه مفكراً فيما يعث الزئير من أفواه هذه الأسود الذهبية، وفيما يجعل الطيور تغرد، فإذا شرد ذهنه لم يكده يستطيع الإجابة على أسئلة رئيس الديوان المتكلمم بالثيابة عن الإمبراطور إذا، فقد رجه الإمبراطور إلى جانبه، وسوف يحارب من أجل المسيح الروماني وإمبراطوريته، وسوف تغدق عليه الامتيازات والهبات.

هذا تخضير نفسي بين الإبحار والتهديد المبطن إذ: وبعد أن يضمن الإمبراطور ولاء الصّيف، يدخل البرتوكول مرحلة الهدايا من أجل وعده بالدفاع عن الحدود ورتماً مركزاً رسمياً في الحكومة، فيصبح نبيلاً أو قائداً في الجيش أو تزويجه من أميرة بيزنطية كما فعل هرقل مع زعيم الخزر، فيعتنق المسيحية ويقوم الإمبراطور نفسه بدور الاشبين عند الحوض المقدس، ثم ينتدب أحد الأساقفة من أتباع بطريق القسطنطينية للإشراف على مصالح

الرومان في بلاده، وفي حالة قيام شعبه وإسقاطهم له، يسمح له بالاتجاه للإمبراطورية ثم يعاد إلى مركزه بحراب الرومان الإمبراطورية البيزنطية.<sup>75</sup>

واضح من الشاهد على تفاصيل البروتوكول أن الأمور مرتبة بطريقة لا تترك ثغرة يسترجع فيها الضيف وعيه الكامل واستقلال الرأي، لم تكن بروتوكولات الاستقبال مجرد أعراف لتسيير الأمور بل كانت لها أبعادها الدينية المقدسة ولا يتسامح مع من يخرق تفصيلاً منها؛ وهنا أيضاً يجب على دارس سفارة ومناظرة الباقلائي أن يتوقف عند ما ينقل من خرق الباقلائي للبروتوكولات والندية في التعامل مع الإمبراطور أمام الأَشهاد.

لا يمكن للدارس أن يغفل هذا المحور في دراسة خلفية سفارة ومناظرة الباقلائي، فالمكتبة البيزنطية إلى جانب كتب التاريخ التي تذكر تلك البروتوكولات وتركز على قدسيّتها، تحوي هذه المكتبة أيضاً على كتاب المراسيم البيزنطية الذي ألفه الإمبراطور قسطنطين السابع ابن ليون السابع عام 953 (والذي حكم اسمياً من 913 إلى 959 ولم يمارس سلطانه عملياً إلا في 944)، والكتاب عبارة عن مجموعة نصوص تنظم حياة وطقوس القصر الملكي، ويشمل جزءاً أولاً عن معلومات هامة حول تسيير الجيوش والحملات العسكرية والتسيير المالي لممتلكات الإمبراطورية البيزنطية؛ كما يشمل على مختلف الاحتفالات الدينية والمدنية، وحتى الاحتفالات الشعبية بكل تفصيلات الاحتفالات من تشريفات القصر واللباقة واللباقة، وفي الكتاب أيضاً تأريخاً لحياة الأباطرة الذين سبقوه مستنداً على محفوظات ومخطوطات القصر الإمبراطوري، كما اعتمد على سجلات رسمية للإمبراطورية من عصور مختلفة، وركز الكتاب أيضاً على الطابع المقدس لبروتوكولات الإمبراطور، وهناك جزء ثاني للكتاب حول العلاقات الخارجية والعلاقات الدبلوماسية، والجزء الثالث خاص بالتنظيم الإداري والعسكري لكل أرجاء الإمبراطورية البيزنطية. كما شمل الكتاب على طقوس التعميد والزواج والجنائز، وهذه جوانب دينية في الأساس.<sup>76</sup>

ومن التفاصيل البروتوكولية التي تحدث عنها ناقلو مناظرة الباقلائي بما يوحي أنّها وضعت خصيصاً له، وهذا خاطئ، حيث أنّ في أعراف القصر الإمبراطوري البيزنطي عرف استقبال السفراء الأجانب في قاعة تابعة للقصر ويسمى هذا الجزء magnaure وكان على السفراء الالتزام الدقيق بطقوس بروتوكولية أهمها طقس وضعية السجود بالامتداد الكامل على الأرض، كما كانت الاستقبالات ذات الطابع السياسي تتم في قاعة الطعام الذهبية حيث يجلس الإمبراطور تحت أغلى قوس يعلوها صورة المسيح جالساً على عرش، ويمكن للإمبراطور دعوة أحد الضيوف إلى الجلوس على أحد الكراسي الـ 12 حول الطاولة ويعد ذلك شرف عظيم.<sup>77</sup>

ربما العدد 12 هو استلهام من عدد حوارتي المسيح في العشاء الأخير. وفي بعض حلقات مناظرة الباقلائي هناك وليمة دعي لها الباقلائي.

هذه التفاصيل مهمة للغاية حتى يعاد النظر في تحليل بعض الباحثين المسلمين لسفارة الباقلائي للقسطنطينية معتبرين أنّ هناك بروتوكولا خاصاً جهّز للباقلاني لإهانته واختبار حصافته. كما تربط هذه الملاحظة مع ما نقل عن سفارة الشعبي لتشابه التفاصيل.

تصنيف الإمبراطور وهو رجل خارج طبقة رجال الدّين ضمن دائرة مقدّسة مفتاحيّة، دليل على التّداخل بين السّياسة والدّين، وفي أمثلة دقيقة كانت سلطته في أمور الدّين أقوى من سلطة رجال الدّين أنفسهم، وهو ما حدث قبل هذا عندما كان الإمبراطور الرّوماني الوثنيّ مشرفاً ومرجّحاً في مجامع كانت تناقش أدقّ أمور ترسيم العقائد المسيحيّة.

لقد بيّنت الكنيسة الأرثوذكسية (البِيزَنْطِيَّة) أنّها لم تعمل بمبدأ المسيح كما ذكره إنجيل مرقس: ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

يذكر المؤرخون أن: إمبراطور روما الشّرقية لم يكن حامي الدّين فحسب، بل كان رئيس الكنيسة ووريث قسطنطين الكبير، وكان في مقدوره وحده أن يدعو الجمع الكنسي للانعقاد وكانت قرارات الجمع لا تفوز بالصّيغة التّنفيذية حتى يوافق الإمبراطور على جعلها سارية المفعول، واستطاع الإمبراطور الأوتوقراطي أن يحدّد عقائد الكنيسة بمنشورات إمبراطورية، وكان يعيّن أسقف البلاط الذي كان في مقدوره أن ينقذ إرادته في المسائل الدّينية عن طريق عزل البطارقة العاصين وقد وضع أسقف الإمبراطور جستنيان التّظنّيّة القيصريّة: يجب أن لا يحدث شيء في الكنيسة ضدّ رغبة الإمبراطور الإمبراطورية البِيزَنْطِيَّة<sup>78</sup>.  
التقى الباقلاقي بهذه الشّخصيّة ذات الأبعاد الدّينيّة السّياسية .

ولمعرفة مقرّبة بهذه الشّخصية والتي ستفيد من تجلّل ما تنقله الكتب من تفاصيل اللّقاء بين الباقلاقي وهذا الإمبراطور: المرجّح أنّ الإمبراطور الذي تلقّى سفارة الباقلاقي هو باسيل الثاني (958-1025) الملقّب بقاتل البلغار الذي حكم من 960م إلى 1025م وهو أشهر شخصيّة في العائلة المقدونيّة القويّة التي ترتّعت على عرش الإمبراطوريّة البِيزَنْطِيَّة.

وورد اسم هذه الشّخصية في عدّة أوعية لكتابة التّاريخ من المواعظ والشّعور والمراسلات الدّينية من الآباء والكتابات الجدليّة والكتابات حول نهاية العالم، والسّير المقدّسة والمخطوطات والكتابات العسكريّة وغيرها.

باسيل الثاني كان شريكاً مع أخيه في العرش، وهذا الأخير لم يكن مهتمّاً بأمور الحكم، وعاش حياة البذخ في الشّهوات، بينما باسيل الثاني كان يفضّل أمور السّياسة والحرب التي كان يشارك فيها بنفسه. وعاش ومات أعزباً ولم يخلف أولاداً من أيّة علاقة كانت: شرعيّة أو غير شرعيّة، كما كان شأن الملوك. وأوصى بأن يكون قبره في كنيسة مغمورة بعيداً عن المقابر العائليّة المملكيّة.

عاش فترات عصيبة أثناء فترة حكمه التي امتدّت إلى خمسين سنة نتيجة محاولات انقلابية في الدّاخل وتحديات في الخارج بين حماية حدود الإمبراطورية، والرّغبة في توسيعها، ولهذا التّوصيف علاقة بسفارة الباقلاقي .  
كوّن فرقة قويّة من جنود الفيكينغ، تعمل تحت إمّرتة، والذين يعرفون بقسوتهم في الحروب مثله، فقد سمل أعين الكثير من جنود الجيش البلغاري المنهزم أمامه، وترك بعض الجنود بعين واحدة ليقودوا العميان انتقاماً لهزائمه السّابقة أمامهم. بعد وفاته خلفه قسطنطين الثّامن شريكه الصّوري السّابق في العرش.

زمن حكم باسيل الثاني الذي امتد إلى نصف قرن، كان العالم الإسلامي خلاله ضحية الانقسامات وتفكك الخلافة العباسية التي تحولت الخليفة فيها إلى مجرد صورة من غير صلاحيات، على خلاف الدولة البيزنطية التي كانت تحقق الانتصارات على حساب الخلافة والدويلات الإسلامية المنشقة عنها، وتتفاوض معها بشكل انفرادي وتحالف مع بعضها ضد البعض الآخر .

سعى باسيل الثاني إلى تحسين علاقاته مع البابا وإلى التحالف معه عند الضرورة، كما أقام علاقات قوية مع امبراطور الغرب لويس الثاني، وتحالف معه أيضا ضد العرب، مما ضمن له السيطرة بأسطوله على البحر الأدرياتيكي وتحريره من الغارات التي تستهدف الاستيلاء على سيادته. وحققت تحالف باسيل الثاني ولويس الثاني انتصارات على المسلمين بمختلف دويلاتهم والخلافة نفسها باسترجاع مناطق يعتبرونها لهم، والاستيلاء على مناطق جديدة، وفي الحالتين كانت بعض المناطق استراتيجية وهامة جدا.<sup>79</sup> يستفاد من هذا لتوضيح الخلفية الدينية والسياسية للإمبراطور الذي سيواجهه الباقلافي فعلياً.

#### عاشرا: خريطة المذاهب العقدية في الدولة البيزنطية زمن السفارة:

كان الطموح السياسي والتراث اليوناني من العوامل التي ساهمت في رسم الخرائط العقدية في الدولة التي واجهت العالم الإسلامي خلال قرون طويلة.

الباحثون يرون أن المذاهب العقدية الرئيسية زمن سفارة الباقلافي والتي يعود تبلورها إلى القرنين الرابع والخامس هي: الأريوسية والنسطورية والمونوفيرية، وكانت المناقشات والمساجلات بينهما معقدة، وقفت فيها الروح الإغريقية الحافلة بالدهاء الميتافيزيقي التبولوجي وجها لوجه في تباين ظاهر أمام العبقرية الصافية، التي امتاز بها العالم اللاتيني واحتدم في أثناءها صراع عنيف بين أسقفية الشرق المرن الخاضعة لإرادة السيد الحاكم وبين رؤساء الكنيسة الرومانية، وما امتازوا به من ترفع يشوبه العناد - في الثلث الثاني من القرن الخامس - أدى هذا الشقاق الديني إلى فصل روما عن بيزنطة للمرة الأولى.<sup>80</sup>

هذه التعقيدات في النقاشات العقدية الداخلية في الدولة البيزنطية، لا صدى لها في المناظرة، ولكنها تساعد على الخروج من أزمة تضخيم دور ومستوى المناظرة في تاريخ الجدل الديني.

البعض اعتبر أن هناك عنصرا هامشيا قد يسهم أيضا في إخراج المناظرة وحتى السفارة من رواق المواجهة العنيفة والشرسة سياسيا ودينيا، فهناك ما قد يقرأ بين سطور كتب التاريخ ويعطي زاوية مختلفة للتحليل، رغم عدم وجود ما يعممها على كل مراحل تاريخ العلاقات الإسلامية الرومانية والبيزنطية، ويمكن إيجازها في الملاحظة التالية:

كان الأصدقاء العرب يحتلون على المائدة الإمبراطورية مقاعد أعلى من مقاعد الأصدقاء الفرنجيين، وكان عرب المشرق يجلسون في أمكنة أشرف من أماكن عرب المغرب، وسفراء الروم حين كانوا يقدون على بغداد كان الخليفة يستقبلهم استقبالا رسميا في أمة شرقية بالغة، وقيم عرضا عسكريا.<sup>81</sup>



ورغم هذا الهامش الذي قد يوحي من أن قصر الإمبراطور لم يكن مكانا للمناظرات، ولم يكن مهياً لعرض ما يملكه كل طرف من نقد إزاء الطرف الآخر. ولكن الذي يهمّ الباحث عن رسم موضوعي لخرائط الجدل الديني المسيحي الإسلامي وتبنيتهما هو أنّ التراث المسيحي زمن كتابات المسلمين حول عقائد المسيحيين، لم يكن خالياً من كثافة جدليّة بينيّة، وبأن العقل المسيحي لم يتوقّف عن إثارة الأسئلة، كما يوحي بذلك ما كتبه المسلمون ونقلوه عن بعضهم بعضاً دون الانتباه إلى السيروورة والحراك الدّاخليين في التراث المسيحي.<sup>82</sup>

ففي الفترة التي كتب فيها الباقلاني التمهيد وناظر فيها المسيحيين في القسطنطينية، كان في تراث التفكير المسيحي عناصر هامة أغفلها المسلمون، ولم يكن لها صدى في مناظرة تقدّم باعتبارها شاهداً على نضوج النقد الإسلامي للمسيحيّة.

على سبيل المثال كانت من مخرجات المجامع المهمّة قبيل السفارة والمناظرة والتي أثّرت في دائرة المعتقدات

ما صدر:

1- عن مجمع القسطنطينية الرابع سنة 879 ميلادية حيث كانت من أهمّ قراراته ونتائجه: الرّوح القدس منبثق من الآب فقط خلافاً لما أقرّته كنيسة روما ممّا أدى إلى: الانفصال داخل الكاثوليك إلى: أ- كنيسة روما وسمّيت الكنيسة الكاثوليكيّة أو اللاتينية أو الغربيّة أو الملكانيّة.

ب- كنيسة القسطنطينية وتسمى كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة اليونانيّة.

وتفرّعت أسس العقائد المسيحيّة الكبرى آنذاك (رسمياً) أما الخريطة العقائديّة للمسيحيّة فهي أوسع وأكثر تعقيداً).

أ.أرثوذكس: بالاعتقاد المركزي أن للمسيح طبيعة واحدة والرّوح القدس تنبثق من الآب فقط.

ب. كاثوليك: بالاعتقاد المركزي أن للمسيح طبيعتان ومشيئتان والرّوح القدس تنبثق من الآب والابن.

ت.الروم الأرثوذكس: بالاعتقاد المركزي أن للمسيح طبيعتان ومشيئتان والروح القدس من الآب فقط.

ث.المارون: بالاعتقاد المركزي أن للمسيح طبيعتان ومشيئة واحدة.

وتأسّست لكلّ فرقة منظومتها الخاصّة من مجامع خاصّة بتفصيلات عقديّة وتشريعات.

2- وعن مجمع نيقيّة الثاني 787 ميلادية وهو المجمع المسكوبيّ السابع (وهناك بعض الاختلاف في ترتيب والتأريخ للمجامع بين المذاهب المسيحيّة). وسبب انعقاده البحث في مسألة رفض الأيقونات، وأهمّ نتائجه: الاعتراف بضرورة تبجيل الأيقونات والسّجود لها باعتبار ما تحمله من صور من يستحقّ السّجود، فكانت هناك محاولة التّأصيل العقدي لعبادة الأيقونات عبر التّركيز على أن من يستحقّ العبادة هو الله وحده وأنّ هناك حاجة للصّور من أجل عبادة الله والرّب يسوع المتجسّد (يعني المتصوّر إنساناً حيّاً) باعتباره الضّامن الوحيد للخلاص.

هذه المعطيات الموجودة في كلّ المصادر والمراجع التي تؤرّخ للانشقاقات في الكنيسة المسيحيّة الأولى كانت

لها وشائج مع الجغرافيا الإسلامية من عدّة زوايا منها: الأحوال العقديّة في الإمبراطورية لها تأثيرها على العلاقات الثنائية من جهة فرار بعض المعارضين الدّينيّين إلى الدّول الإسلامية، ومن جهة أخرى سعي بعض الحكّام

البيزنطيين المؤمنين بالأيقونات والدّخائر إلى جعلها بنودا في المفاوضات. وسيجد الباحث ارتباط الجوانب العقدية بالسياسية في الشخصيات المحورية التي كانت جزءا من العلاقات مع الدّول الإسلامية: خلافة ودويلات.

إضعاف الدّاخل البيزنطي نتيجة الصّراعات العقدية ينعكس على الدّول الإسلامية بمحاولة استرجاع الأراضي والأسرى، أو تحقيق إنجازات في الفتوحات إذا كان الطّرف الإسلامي قويا وعارفا بتعقيدات الصّراعات العقدية الدّاخلية للخصم السياسي الدّيني القوي والمتربّص.

يذكر الباحثون أن: النزاع بين محطّمي الأيقونات والمدافعين عنها كان نزاعا وصراعا رهيبا، شغل المجتمع البيزنطي مدّة تزيد على القرن من الزّمان، وترك أثارا عقائدية وثقافية وحضارية في تاريخ الدّولة البيزنطية.<sup>83</sup> لكن الإسلام دخل دون إرادة حقيقيّة من أتباعه، خصوصا أهل العلم، عنصرا محوريا في هذا النزاع العقدي حيث: السياسة كانت المحرّك الحاسم في الكثير من الصّراعات العقدية التي شهدتها التاريخ المسيحي في الشّرق الرّوماني كما الشّرق البيزنطي، بل وكل المناطق التي شهدت حضورا مسيحيا؛ لكن تبني الإمبراطورية الرّومانية للمسيحية دينا رسميا للدّولة، هو الظّاهرة الأكثر تمثيلا لبداية التّوجّه السياسي للعقائد.

1. هذه القضية التي امتدت على قرون، لا يبدو اهتمام المسلمين بها في كتاباتهم بالدرّجة التي تستحقّها، وطبعا لم تكن حاضرة في المناظرات التي يصوّرها البعض كنموذج مسقف للتّقدّم المسيحي للمسيحية.

2. من القضايا العقدية تلك: حركة مناهضة عبادة الأيقونات إلى الإمبراطور ليو الثالث الذي اعتلى عرش بيزنطا في 717م وأهمّه خصومه بأنّه متأثر باليهودية والإسلام، خصوصا مع أخبار أمر الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك في نفس الفترة، بإزالة الأيقونات من جميع الكنائس المسيحية الموجودة في الدّول الإسلامية.

3. تمّ التّخلص من أدبيات حركة مناهضة عبادة الأيقونات بأمر بابوي في 731 مع قرار الحرمان الكنسي ضدّ جميع اللاّيقونيين، بما فيهم الإمبراطور ليو الثالث. في 754 وكحركة سياسية دينيّة مضادة، انعقد مجمع ديني في القسطنطينية لترسيم اللاّيقونية وسط غياب كبير لممثلي الكيانات المسيحية، بما فيها طبعا البابوية.

4. ثم جاءت حملة عامّة ضدّ الأيقونيين، وكان من أعمدتها رأس هرم السياسة: الملك قسطنطين الذي ألّف بعض الكتابات العقدية، والتي من أفكارها عدم إمكانية رسم صورة للمسيح لطبيعته الإلهية، وعقد مجمعا كان من قراراته بالإضافة إلى تحريم رسم المسيح: تحريم صور القديسين لأنّ ذلك ضرب من الوثنية.

5. عندما تولّى العرش قسطنطين السادس سنة 780 كان صغيرا، فكانت أمّه الإمبراطورة إيرين وصيّة عليه، فأشرفت على انعقاد مجمع مسكوني لإعادة عبادة الصّور سنة 787 في نيقية، ويعدّ هذا المجمع هو المجمع المسكوني السّابع، ومن أهمّ قراراته إعادة تبجيل الصّور والأيقونات ناشرين حجج يوحنا الدمشقي بالربط بين تقدّيس الأيقونات والصّور والخالص، ثم انعرجت الحياة السّياسية إلى اتون البشاعة عندما قام قسطنطين السادس في حوالي 792 بسمل عيون قائده وأعمامه الأربعة، فقامت أمّه الإمبراطورة إيرين في 797 بسمل عيني ابنها الإمبراطور الذي تقاسمه العرش.

حفريات حول المناظرات الدينية خلال سفارات تحرير الأسرى بين الدولة البيزنطية والعالم الاسلامي

6. في سنة 800 توج البابا شارلمان كإمبراطور روماني في كنيسة بطرس روما مما أغضب الدولة البيزنطية، التي كانت تعتبر نفسها الورثة الوحيدة للدولة الرومانية القديمة، وقام الإمبراطور شارلمان بعرض الزواج على الإمبراطورة إيرين التي وافقت مبدئياً، لكن حدث انقلاب ضدها واعتلى العرش الإمبراطور ليو الخامس الذي أعلن سياسته اللاأيقونية، وأشرف على انعقاد مجمع سنة 815 الذي أقر منع تبجيل صور الموتى والأيقونات وإشعال الشموع وإحراق البخور.

7 ثم مات ليو الخامس فخلفه ميخائيل الثاني الذي كان لا أيقونياً، ولكن ضعيفاً، ثم جاء آخر الأباطرة اللاأيقونيين الذي حكم بين سنتي 829 إلى 842 وخلفه ابنه السكير الذي استلمت والدته تيودورا مقاليد الحكم عنه وكانت من الأيقونيين مما جعل مقاليد الحكم بيد والدته الإمبراطورة تيودورا، التي أرجعت عهد الأيقونيين.

في سنة 843 أشرفت تيودورا على عقد مجمع في نيقية من أجل إعادة عبادة الأيقونات، وفي نهاية أعمال المجمع أقيم قداس في كنيسة القديسة صوفيا في 11 مارس، أصبح ذلك اليوم عيداً في الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية.

هذه الأمثلة المتواجدة في التاريخ المسيحي دليل على الارتباط العضوي بين السياسة والدين، وبالتدقيق هي دليل ناصع على دور السياسة في ترسيخ عقائد دينية لأسباب متعلقة بالأساس بحوى الحاكم ومزاجه. وحتى المجمع السبعة بعد المذكورة آنفاً، لم تبدر بعدها أية محاولة أخرى خطيرة للمساس بنواحي طبيعة المسيح وشخصه على النحو الذي أقرته المجمع السبعة، وأخذت الخلافات اللاهوتية تدور بالأكثر حول لاهوت المذهب الباطني وطقوسه.

وانشقت طائفة مسيحية في القرن التاسع وتوطنت على أراضي عربية خصوصاً في عصر المتوكل، كانت تؤمن بالثنائية وتعرف باسم أتباع بولس paulicians حيث استقرت بين الأرمن النازلين بأرض الفرات الأعلى، مؤسسة هنالك جمهورية دينية، وتعاونوا مع المسلمين في قتال البيزنطيين إلى أن قضى عليهم باسليوس الأول سياسياً، وحاول إخمادها بإنزال أتباع بولس هؤلاء في بعض رقاع من الأرض تقع على امتداد الحدود البلغارية، وكانوا هناك مصدر وحي لحركة تزندق بلغارية يطلق عليها اسم الحركة البوجوميلية نسبة إلى مؤسسها BOGOMIL ولهذه التضاريس العقدية علاقة بالصراع الديني السياسي بين البيزنطيين والمسلمين.

منذ عهد المتوكل كان هناك صراع داخلي بين السلطات البيزنطية وطائفة الببالصة حول عبادة الصور المقدسة، ونظراً لما تعرض له الببالصة من اضطهاد على يد السلطات البيزنطية الموالية لعبادة الصور المقدسة، لجأوا إلى حماية بعض أمراء المسلمين، ثم استقروا في بعض المدن الرئيسية على حدود أرمينيا. طائفة مسيحية ظهرت في أواسط القرن السابع الميلادي نسبت نفسها إلى بولص الرسول، وكانت ترفض أسرار الكنيسة وعبادة الصور وتراتبية الكنيسة.

كل هذا الثقل في ساحة الصراع العقدي الداخلي، والذي وجهته السياسة بالأساس، كان خلفيّة أساسيّة لأيّ جدل بين المسلمين والمسيحيين، ومن المؤكّد أنّ كلّ طرف يدرس ما عند الآخر ليكون مادة في الجدل: أين نجد هذا في كتابات المسلمين رسدا وفهما ونقدا ومقارنة؟<sup>84</sup>

الإصرار على توفير مادة رسم خرائط الجدل الديني المسيحي الداخلي يفيد من جهة أولى تبرئة الباقلائي من التوظيف غير الأمين لما اصطلح عليه المناظرة العجيبة، ومن جهة أخرى تبيان صعوبة ادعاء معرفة الحالة العقدية لأمة من خلال تداول معلومات مغالطة تغطية لغياب الهمة في البحث.

### حادي عشر: لبنات خلفيات سفارة الباقلائي

دراسة تفاصيل المناظرة من غير الحفر حول إحداثياتها عمل غير مجد، ويوجّه المناظرة في اتجاه خال من أي استثمار حقيقي في مجال الصراع الحضاري الفكري، وأيضاً في إطار بناء علاقات مع الآخر مبنية على مقاصد الحكمة بالمعرفة والموعظة الحسنة في النقاش، واحترام معتقدات الآخر بما وفّره الفقه الإسلامي من سياج يحمي المجتمع الإسلامي، كما تفرض الحكمة والموعظة الحسنة تقدير ما عند الآخر من بقايا نبوّات سليمة من التحريف، ومن ثمار اجتهاد عقل مستقيم وروح وفتية لفطرتها. أما ما يتعارض مع ما سبق فينطبق عليه: لكم دينكم ولي دين، ولست عليهم بمسيطر.

قصة المتمرد البيزنطي "BARDAS SCIERUS" لا تختلف عما هو موجود في تاريخ الدول من حلقات من الخيانات والتمرّدات، احتجاجاً على وضع سائد غير عادل، أو طمعا في الاستلاء على الحكم وغنائمه، وهذا ما حدث في فترة المناظرة وخلفياتها التاريخية إذ أراد أحد القادة العسكريين البيزنطيين: ورد بن منير السقلاروس BARDAS SCIERUS قيادة تمرد على الإمبراطور باسيل الثاني، وعندما فشلت محاولته لجأ إلى المسلمين في مقرّ الخلافة وفي بعض الولايات التابعة للدويلات المستقلة عن الخلافة عارضا خدماته ضد بلده .

وكما هو دارج في هذه الحالات فكّرت الجهات التي لجأ إليها المتمرد كيف تستفيد من وضعيته للتفاوض مع الدولة البيزنطية أو استغلال ما لديه من أسرار خطيرة ومن كفاءة قتالية.<sup>85</sup> كان هذا المتمرد موضوع مراسلات ومفاوضات بين الدولة البيزنطية وحكّام الأرض الإسلامية التي يلجأ إليها.

من محاور المفاوضات والسفارات بين الدولة البيزنطية والعالم الإسلامي خلافة ودويلات: موضوع الأسرى والمختطفين حيث كان هناك أسرى الحروب والمعارك ولكن كان أيضاً من يتمّ اختطافهم في أماكن كثيرة حيث ينعدم الأمن.(القرنصة).<sup>86</sup>

ارتبطت سفارة الباقلائي بكلّ تلك البيئة المتشابكة والمعقدة والتي قد تنفي الباحثين عن المضي في الحفر بحثاً عن آثارها وتفصيلاتها، ومن ثمار حفريات في بعض التفاصيل وجود بنود ذات منحى عقدي دقيق في المفاوضات بين البيزنطيين والمسلمين متعلّقة بما يسمى: الذخائر المقدسة.

ميزان المقايضة: فلم يكن موضوع الأسرى والأراضي فقط ما تتضمنه محاور المفاوضات، بل كان هناك محور هام آخر لم ينتبه إليه الكثير من الباحثين المسلمين رغم ارتباطه بالعقائد المسيحية المتشابكة بالسياسية عند البيزنطيين، وهو محور الذخائر والصّور والآثار المسيحية الأصلية الموجودة في جغرافيا حياة المسيح وبداية رسالته. وكان هناك تنافس بين الكيانات المسيحية الخاصة والعامة لاقتناء والحصول على تلك المقدّسات، لأن امتلاكها يعطي البركة ويعكس الوجهة الدينية والاجتماعية والسياسية. كان يمكن أيضا أن تتحوّل تلك المقدّسات إلى مواقع حجّ وزيارات دينية مما يجلب المداخل المالية. يبقى السؤال: هل من حقّ المسلمين التفرّط في هذه الكنوز ويتبع هذا السؤال البحث في: أليست حياة المسلم أعلى حتى من الكعبة الشريفة أي أنّ تلك الآثار لا تقارن أو تفاضل بقيمة حياة المسلم.

من الأمثلة على ذلك ما حدث في فترة السفارة عام 944م عندما أوغل البيزنطيون في الأراضي الإسلامية حتى وصلوا إلى نصيبين وماردين وطلبوا في المفاوضات من أجل الهدنة أو الانسحاب ذخيرة مقدّسة كانت منديلا *mandylon of edessa* كان موجودا في كنيسة الرها (يزعمون أنّ المسيح مسح به وجهه قارتسمت صورته فيه) على أن يطلقوا جميع من سبوا فأرسل إليهم الأسرى. كانت مقايضة المسلمين المنديل بفكّ الحصار على مدينتهم بالإضافة إلى مبالغ مالية كبيرة مع ضمان أمنهم وسلامتهم وإطلاق الأسرى، وحدث ذلك بعد استشارة الخليفة العباسي المتقي لله للفقهاء، حيث انقسمت الآراء بين من رأى أنّ المسلمين أحقّ بآثار المسيح، ومن قال أنّ فكّ أسر المسلمين من أرض الكفر أهمّ، وكانت الأغلبية للرأي الثاني، وتمّ استقبال المنديل عند البيزنطيين باحتفاء كبير.<sup>87</sup>

يرتبط تبجيل الرّفات أيضا بأداء القسم من رعايا الدولة البيزنطية وقادتهم والحكّام الأجانب لضمان ولائهم واحترام الاتفاقيات المبرمة وفي احتفالات الإمبراطورية مثل مراسيم الاستقبال والتّوحيج والزّواج والانتصارات العسكرية والتّنصيب، ومع المسافرين والحجّاج، وكانت أحيانا تهدى في المجاملات الدبلوماسية وكانت ترسل مع الرّفات شهادات تثبت أصالتها.<sup>88</sup>

كانت الصّور المقدّسة منتشرة بطريقة واسعة في الكنائس والأديرة والدّور والخوانيت وتطرز على الملابس وتنقش على الكتب والأثاث، ونحتت في هيئات مجسّمة في الميادين العامة وعلى أسوار القصور الملكية وعلى النقود.<sup>89</sup> وفي عام 989 أصبح باسيل الثاني الإمبراطور الذي سيرسل إليه الباقلائي مجسّدا في صور حاملا السيف في يد وأيقونة العذراء في اليد الأخرى، وكان يخصّص بعض الجنود لحمل أيقونات العذراء في ساحات المعارك الخارجية التي يخوضها.<sup>90</sup>

ومن الأمثلة على الحضور القويّ للآثار الدينية في محاور المفاوضات بين الدولة البيزنطية والعالم الإسلامي ما حدث في عهد قريب من سفارة الباقلائي (بُعِيدها) الخليفة الظّاهر الفاطمي في مفاوضات الهدنة مع الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثامن حيث كانت من أهمّ مخرجاتها: إقامة الخطبة للخليفة الفاطمي في مساجد بلاد الرّوم وإعادة بناء جامع القسطنطينية مقابل إعادة بناء كنيسة القيامة ببيت المقدس التي كان الحاكم قد

هدمها وترك الحرية للمسلمين، الذين كانوا مسيحيين وتحولوا إلى الإسلام في عهد الحاكم بالعودة إلى دينهم القديم.<sup>91</sup>

هذه المعطيات السياسية والدينية زمن السفارة هي الخلفية التي يجب أن تدرس فيها المناظرة والسفارة، وهي معطيات يغفلها الدارسون الباحثون عن الإثارة وجذب الانتباه أكثر من الحفر العلمي وبعض هؤلاء يريد التسويق للمناظرة وهي معدلة ومبتورة عن سياقاتها تحت باب تقوية المناعة الدينية وتبجيل العلماء والتباهي أمام الآخر، دون التساؤل عن الثمار الحقيقية لمثل هذا المسلك وعن الغيب الذي يحاط بشخصية الباقلاني.

## ثاني عشر: قضايا الأسر والأسرى في السفارات والمناظرات

يخضع الأسرى والمخطوفون المسلمون لدى الدول المسيحية كما الأسرى المسيحيون لدى المسلمين إلى قوانين وأعراف متعددة الهويات: دينية-سياسية-ثقافية. ومن غير الممكن فهم أبعاد هذه الخصائص إذا لم يتم التدقيق في بعض التفاصيل المفتاحية وهي ضرورة للمفاوض ولمن يحرر بنود الاتفاقيات والمعاهدات.

لقد ارتبطت أزمة الأسرى بالمرجعية الدينية البيزنطية مما صعب مفاوضات تحريرهم وبعض المراجع تذكر أن الباقلاني فشل في التفاوض من أجل تحرير الأسرى، مقابل تسليم القائد العسكري المتمرد، فملف الأسرى في سياسة الدولة البيزنطية له خصوصية مرتبطة بالخلفية الدينية والمكانة الاجتماعية للأسرى الذين يمكن أن يتحولوا إلى ورقة ضغط في المفاوضات أو مجرد سلع للبيع. المسلمون من جهتهم لهم قواعدهم الخاصة في التعامل مع ملف الأسرى من نفس الزوايا مع وجود خصوصيات في الجهتين لها علاقة بمعتقدات دينية خاصة.

الأسرى المسلمون عند البيزنطيين كانت لهم وضعية خاصة، كما أنّ البيزنطيين تعاملوا مع أسراهم عند المسلمين بطرق مختلفة عن باقي أسراهم في العالم.

1. أساس الفرق عند البيزنطيين بين العرب والسلاف خصوم البيزنطيين هو: اندماج الهويات السياسية والدينية الذي كان يفرضه العرب في القرنين السابع والثامن، فمن أجل تغيير الهوية السياسية يجب تغيير الهوية الدينية أي ارتباط الجنسية بالدين.

2. في الجانب البيزنطي التحول الديني للوثنيين كان شيئاً سهلاً، والكنيسة البيزنطية لها تجارب كثيرة في هذا السياق، لكن الأمر معقد جداً مع المسلمين، فمحاولة شرح المسيحية للمسلم كحقيقة دينية يصطدم بامتلاك المسلم لثقافة دينية حقيقية محورها القرآن الكريم.

3. لا يمكن للمسلم أن يكون بيزنطياً إلا إذا كان حراً عبر التحول إلى المسيحية وفق قواعد تضعها الكنيسة.

4. الدولة البيزنطية لم تكن تتعامل مع أسرى الحرب السلاف وأسرى الحرب العرب بنفس الطريقة، فأسرى العرب يحتفظ بهم من أجل التبادل أو التحويل الديني أو التحرر من الأسر بوسائل أخرى، وهو ما لا ينطبق على أسرى الحرب السلاف الذين لا يمكن الاستفادة من أسرهم اقتصادياً لضعف بلدانهم.

انتبه البيزنطيون إلى قواعد التعامل مع الأسرى في مختلف الدويلات الإسلامية التي تصادمت مع دولتهم متحالفة أو منفردة، حيث لاحظوا أنّ العرب يختلفون في موقفهم من أسرى الحرب البيزنطيين عن الأمم الأخرى،

فالعرب كانوا مستعدّين لتحويل أسرى الحرب واللاجئين الذين عندهم إلى الإسلام، وهذا يحصل لأول مرة مع خصم للبيزنطيين، ندا لهم يهدّد حدود الدولة البيزنطية. لكن هذا لا يعني تحويل هؤلاء إلى عرب حيث أنّ المهتدين إلى الإسلام ( المتحوّلون دينيًا في مصطلحات مقارنة الأديان) من أسرى الحروب وحتى اللاجئين في الدّول العربية بعد إسلامهم يتحوّلون إلى عبيد مسلمين أو متحرّرين من الأسر (فقط) بمعنى: دون الارتقاء ليصبحوا جزءا من النسيج الاجتماعي العربي إذ يبقون رغم إسلامهم أقلّ درجة من العرب.(الموالي)

اعتمادا على قواعد ومبادئ الولاء: يكون المهتدي الحاصل على شهادة الاعتراف بتحوّله إلى الإسلام، ملتزما بشروط الانضمام إلى الأمة الإسلامية، ويساهم بمسؤوليّة في واجباته كعضو في مجموعة المؤمنين، ومع ذلك يبقى هذا الأسير المتحوّل دينيًا أو المتحرّر من العبوديّة تابعا اجتماعيا لمن حرّره وفق قواعد الولاية كما حدّدها فقهاء الإسلام.

أما في الدّولة البيزنطية المسيحيّة، فهناك ارتباط عضوي بين الهوية المواطنة والدين المسيحي، فالأسرى والسّجناء البيزنطيين في الدول الإسلامية، يجب أن يحتفظوا بمسيحيّتهم حتى لا يفقدوا مواظنتهم البيزنطية، وهذا أيضا إشكال فقهي قانوني في المسيحيّة كما تتبنّاها الدّولة البيزنطية. ولكن التّديق في بعض حالات تحرير الأسرى يتّضح أن الأمر أكثر تعقيدا لدى البيزنطيين، الذين كانوا يعتبرون الأسير جندي تخلّى عن شرف الدّفاع عن راية جيشه، وفضل الأسر على الموت في سبيل شرف بلده.

بعض كتب التاريخ تذكر أنّ مبادلات الأسرى بين عامي: 855م و856م سمحت للدّولة البيزنطية باسترجاع أسرى متحوّلين إلى الإسلام، الذين يبدو أنّهم عادوا إلى الدّولة البيزنطية رغما عنهم في صفقات دقيقة بين الدّولة البيزنطية والدّويلات الإسلامية، كمبادلة أسرى مسلمين بذخائر مقدّسة وأيقونات مسيحيّة. وكانت الدّولة البيزنطية ترى أنّ من واجبا المقدّس أيضا استرجاع الأسرى الذين أسلموا، حتى وإن كان هؤلاء يفضّلون البقاء في الأراضي الإسلامية. الدّولة البيزنطية كانت تعتبر أن من واجبا الدّيني استرجاع المرتدّين وحثّهم على الرّجوع إلى مملكة المسيح ليستعيدوا بعدها مواظنتهم البيزنطية، وذلك تأكيدا على ارتباط الهوية المواطنة بالهوية الدّينية.

في رؤية مناقضة يلاحظ أنّ هذه القواعد في تبادل الأسرى غائبة في التّعامل مع الأسرى البلغار والسلاف، فهم مسيحيّون اعتنقوا المسيحيّة في بلدانهم أثناء انتشارها، لكنهم ليسوا بيزنطيين (اشكالات كثيرة أثارها الملوك هناك حول ولائهم الدّيني لدولة تقصّصهم دينيًا) وبالتالي لا تهمّ الدّولة البيزنطية بتحريرهم أو مبادلتهم، وهنا يتّضح أنّ الهوية المواطنة أهمّ من الهوية الدّينية.

إشكاليّة في المصطلحات وجب الانتباه إليها: نستطيع استعمال مصطلحات: عرب أو سلاف أو بلغار للإشارة إلى مجموعات عرقية، ولكن لا نجد مصطلحا مقابلا ويناظرها بالنسبة للبيزنطيين، فمصطلح الرّومان الذي يسمي به البيزنطيون أنفسهم، يشير إلى كيان سياسي وليس عرقيّ. جيران الدّولة البيزنطية يتكوّنون من مجموعات عرقية، بينما الدّولة البيزنطية حافظت على مؤسسات الإمبراطورية الرّومانية المتأخّرة، ومن أجل توصيف هوياتي لجأت الدّولة البيزنطية إلى الدّين، وهو اختيار حسّاس في تاريخ المسيحيّة العقدي.<sup>92</sup>

المؤرخون الرومانيون والبيزنطيون لم يهتموا بتسجيل وتوثيق عمليات تبادل الأسرى عموماً، لأنهم كانوا يحتقرون الجندي الأسير ويعتبرون أسره دليلاً على جبنه وضعفه وخيائته، حيث فضّل حياته على حرية دولته، ومن آثار ذلك أنه في القانون الروماني بنود عن إمكانية شراء الأسرى، ولكن في النطاق الخاص بعيداً عن الدولة، فمثلاً عندما تشتري العائلات حرية ابنها لا يسمح له بالعودة إلى بلاده لأنّ شرائه لا يبلغ أنّه عاش عبداً في دولة الأسر، وقانونياً هذه الحالة تفقده كلّ حقوقه الشخصية في دولته حتى زواجه يلغى، وتعلّق حقوقه في ممتلكاته. وإذا قرّر أحد الرومانيين شراء الأسير البيزنطي، فهو يدخل إلى بلده كسلعة، ولن يتمتع بحريته حتى يدفع ثمن شرائه للمالك، ويمكن لأحد أفراد عائلته شرائه من المالك، شرط أن يكون الشاري من عائلة الأب. وابتداءً من القرن الرابع دخل عنصر جديد مرتبط بالمبدأ الأخلاقي المسيحي: الشفقة La charité الذي يفتح أبواب دفع دية الأسرى وفدائهم باعتبارهم مسيحيين تقرباً إلى الله، وسمّي هذا الباب: بند redemptio ab hostibus

الكنيسة اجتهدت في البحث عن تمويل لعمليات اقتداء الأسرى المسجونين عند من أسمتهم البرابرة، فاستعملت أوقافها ومداحيلها، وشجعت التبرعات، مع ملاحظة أنّها تفتدي فقط البيزنطيين المسيحيين. وبتأّسع هذه العمليات غيرت الكنيسة بعض قوانينها في إدارة أموال الأوقاف فاستحدثت بنوداً تسمح ببيع بعض الممتلكات الوقفية ما لم تكن لها صفة دينية مقدّسة. كما حرصت الكنيسة مع هذه التعديلات على وقف إجراءات إبطال زواج الأسرى من زوجاتهم في أوطانهم. يمكن القول إذن أنّ عمليات الاقتداء بقيت حكراً على عائلات الأسرى والكنائس، بعيداً عن الدولة.

في الشريعة الإسلامية لا يتحوّل الأسير المسلم الحرّ عند البيزنطيين إلى عبد أيّا كانت صفة إقامته في الأسر، فهو ينتمي إلى الأمة بجمية دينية سياسية، كما يرتبط تحرير الأسرى بواجبات القبائل، أي المجال العام دون أن يعني هذا غياب عمليات الفداء الخاصة.

سعت الدولة البيزنطية إلى صناعة لفيّ من العرب الموالين لها عن طريق اقتراح مزدوج لأسرى المسلمين القادمين من مناطق استراتيجية: يتنصروا فيتمّ تحريرهم وتزويجهم ببيزنطيات وتوفّر لهم إمكانيات الحصول على المواطنة البيزنطية. وتسجّل بعض الدراسات أن هناك من الأسرى من قبل بذلك، وكان بعضهم من القادة العسكريين وزعماء القبائل.

في نفس الكتابات، يشار إلى أن بعض الأسرى البيزنطيين عند المسلمين يتحوّلون إلى قادة في الجيش وعاملين في دوايب الدولة، كما يتحوّل بعضهم إلى عبيد يباعون وتفقد آثارهم خصوصاً وأنّ بعض الأسرى هم من تبعات عمليات قرصنة غير مرتبطة بالدولة.

هذه خلفية شبكة المسائل العقدية والسياسية في عالم تحرير الأسرى، والتي كانت القضية الأولى لسفارة الباقلائي، لكن ما هو متاح عنها يظهر أن هذه القضية المركزية أهملت لصالح نشر ما سمي انتصارات دينية في المناظرات، والتي اتّضح أيضاً أنّها قدمت من غير وشائجها الطبيعية من معرفة دقيقة وموضوعية حولها. فمن أين استقى هؤلاء مصادر تفاصيل مناظرة الباقلائي أثناء سفارته ؟



### ثالث عشر: محاور المناظرة

ما يحيط بالسفارة والمناظرة من ظروف وعوامل تؤثر في فهم قيمتها وتأثيرها، يمكن رصده في المصادر والمراجع التاريخية بمختلف أنواعها، لكن صعب الوصول إلى تفاصيل السفارة والمناظرة، إذ رغم التداول المكثف خصوصاً في الآونة الأخيرة لما صنف انتصار الباقلائي على النصاري في عقر دارهم، إلا أن مصادر هذه السفارة والمناظرة ليست بالكم والتنوع الذي يفسر ذلك الاحتفاء، فقد رصد الباحثون تلك المصادر فلاحظوا قلة تنوع الذكر وعدم التدقيق والتوسع غير المنطقي في تفاصيلها ومن هذه المصادر:

1. القاضي عياض ذكر عن الإمام الباقلائي وعن بعض مقاطع مناظرته مع النصاري في كتابه: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك والكتاب خاص بأعلام المذهب المالكي.
2. السكوني في كتابه عيون المناظرات، ذكر بعض التفاصيل القليلة عن مناظرة الباقلائي مع ملك الروم.
3. ابن الجوزي في كتابه: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.
4. الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ذكر أيضاً بعض المقاطع فقط من مناظرة الباقلائي مع ملك الروم.
5. ابن الأثير في الكامل في التاريخ.
6. ابن كثير في البداية والنهاية.
7. الذهبي في سير أعلام النبلاء للذهبي.
8. ابن عساکر في تبیین کذب المفتری فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري.
9. ابن خلکان في وفيات الأعيان.<sup>93</sup>

كيف يمكن معرفة كمية ونوعية المعلومات الدينية والسياسية العامة والمتخصصة، التي كانت لدى الباقلائي وهو يقبل السفارة إلى العاصمة البيزنطية مع احتمال أو تأكيد من برجة مناظرات دينية بين المسيحيين والباقلاني؟ الإجابة الكاملة معلقة على ما ستكشفه الأيتام من حفر أعمق فيما هو متاح، أو بروز مخطوطات جديدة لها تماس بهذه الإشكالية وتوابعها.

المرجح أن كتاب التمهيد كتب قبل السفارة والمناظرة، وإذا تم التأكيد على ذلك، فهو رصيد في معارف الباقلائي.

يساعد الرجوع إلى أسباب تأليف الكتاب وتحديد اشكاليته المركزية الباحثين على تصنيف الكتاب وتعيين أهدافه كما يصرح بها الكاتب نفسه. الكتاب حققه عالم مسيحي يسوعي: الأب رتشد يوسف مكارثي، وحققه أيضاً عالمان مسلمان: محمد أبو ريدة ومحمود الحضري، والحديث عن النصاري ليس إلا جزءاً صغيراً في الكتاب، وهو جزء لا يستوعب عقائد المسيحيين، فضلاً عن جدلهم العقدي الذي لا يقل أهمية عن علم الكلام الإسلامي واشكالياته الذي ينتمي إليه الباقلائي خصوصاً في فترة السفارة.

تم تأليف الكتاب بطلب من الملك البويهري من أجل ابنه صمصام الدين، أو كان هدية من الباقلائي للملك، ويبدو أن الكتاب تعرض للتنقيح من الباقلائي تماشيًا مع ظروف خاصة بالملك وابنه.

في الكتاب المحاور الخاصة بالمسيحية شملت:

1. باب الكلام على النصارى في قولهم أن الله تعالى جوهر، 2. الكلام عليهم في الأقانيم، 3. الملكية، 4. الكلام في معنى الاتحاد.

ملاحظة مهمة لمن يقرأ محتوى المحاور وهي: وجود تكرار للعناوين وعودة إلى بعضها، كما أن المحقق المسيحي وهو عالم دين، أبدى تحفظه العام على الكتاب، مقررًا عرضه دون تدخّل منه بالتعليقات على ما يراه مخالفًا لما عند المسيحيين مصدرًا وفهما. واكتفى بالتعليق التقني الخاص بالنص واللغة فقط. حيث يقول: "شرح مذهب الباقلائي وانتقاد آرائه والتعليق على طريقته الجدلية وموافقي له على كذا وكذا قولًا، ومخالفتي له في غيره فلن يجد القارئ المحترم من ذلك شيئًا، هديني الوحيد من هذه النشرة هو أن أعرض للعلماء والمستشرقين نصًا لكتاب التمهيد، وإن أسجل في التعليقات كل الروايات المختلفة التي تركتها حتى يختار منها من لم يرض ما اتخذته وأدخلته في المتن، فإني لا أتوقع موافقة كل قارئ على كل قراءة استحسنتها، وكثيرًا ما يصيب كل مجتهد في هذه الأمور اللغوية الدقيقة العويصة، لست بمسلم بل أنا كاهن كاثوليكي".<sup>94</sup>

وبضيف: "لا يستغرب أحد مثلاً أنني لا أوافق الباقلائي على ما يقوله في باب كلامه على النصارى (ص75-103) من هذه الطبعة فإني لو وافقته على ذلك، لما كنت كما لا أزال في الحقيقة كاهنًا كاثوليكيًا، غاييتي من هذه النشرة ليست المجادلة ولا الرد على ما يختلف فيه رأيي، بل هي غاية علمية محضة".<sup>95</sup> ما قاله العالم والكاهن اليسوعي يؤخذ على أنه اعتراض على ما قاله وفهمه الباقلائي من عقائد المسيحيين. ملاحظة المحقق المسيحي عمّا قاله الباقلائي في التصراية.<sup>96</sup>

أما عبد المجيد شرفي فهو يضع الباقلائي في تضاريس الخريطة الكلامية الجدول-دينية للفكر الإسلامي، فيقدم الباقلائي باعتباره: من دعائم المدرسة الأشعرية في الكلام، فقيه مالكي ومشهور بمناظراته خصّص الباب الثامن من كتاب التمهيد من ص75 إلى 103 للكلام على النصارى، فبدأه بدون مقدمة كما ختمه بصفة فجائية، ولم يعتن بتقدم معتقدات النصارى قبل الرد عليها، بل شرع في مناقشتهم مفترضًا في كل مرة أنهم يقولون قولًا أو يأتون بدليل ما، فيجيب على هذا الأساس: ان قالوا... يقال لهم...<sup>97</sup>

التحليل المنهجي لعبد المجيد شرفي يوضح اتجاه كلام الباقلائي: هل كان دراسة وتحليلًا أو ردودًا لا تختلف عمّا هو متداول في كتابات المسلمين وردودهم الكلامية؟. ويحلّل انطلاقًا من هذه الملاحظة الشاملة المحاور التي تناولها الباقلائي:

**المسألة الأولى:** قولهم أن الله جوهر: موقف الباقلائي من هذا القول هو رفض جواز أن يكون الله جوهرًا قائمًا بذاته، لأن ذلك يؤدي في نظره إلى اللحق بالتّهريتين سواء اعتبر هذا الجوهر شريفًا أو خسيسًا، والرأي عنده أن يكون القديم سبحانه موجودًا ليس بجوهر ولا عرض ولا كالموجودات في الشاهد، كما أنه ليس كالجواهر.

**المسألة الثانية:** الأقبانيم وموقف الباقلااني هو رفض تحديد النصارى لها على أنّها الوجود والحياة والعلم دون سائر الصفات الإلهية، ويناقشهم في نوعية العلاقة بين الجوهر والأقبانيم مبينا مدى اختلاف الفرق الثلاث في هذا المجال، وينتقل الباقلااني إلى مسألة الاتحاد بين الأقبانيم ناقدا موقف الملكية في تصورهم لطبيعة الاتحاد ونشأته.

ويرجع عبد المجيد شرقي تركيز الباقلااني على هذه الفرقة إلى كونها معتقد النصارى الذين هاجموا الإسلام، كما أنّها مذهب دولة الرّوم. يسأل الباقلااني عن مصير الاتحاد بين الأقبانيم عند القتل والصّلب والدّفن، وعن سبب اختصاص المسيح بالاتحاد مع المسيح دون سائر الأنبياء محاولا توضيح بعض الآيات من الكتاب المقدّس.<sup>98</sup>

عبد المجيد شرقي وجد في نقد الباقلااني أصداء كتابات الوراق وغيره ممّن سبق الباقلااني من المعتزلة خصوصا، وممّن شكّكوا في إيمانهم الإسلامي أصلا، ولكنّه يوضّح أيضا أن الباقلااني لم يكتف بالجمع والتلخيص، بل حاول تطبيق منهج مدرسته الكلامية في تحليله، ممّا لا يستبعد معه أنه ببعض الحجج التي لم يسبقه إليها أحد، منها نفى إمكانية المقارنة بين اتحاد وحلول العقل في النّفس وملاحظته حول العلاقة بين مفهوم العدد وعقيدة وحدة الجوهر أو وحدة الطبيعة.<sup>99</sup>

ربّما يحتاج كلام شرقي إلى تحيين ومراجعة بعد تحقيق ودراسة ونشر مخطوطات إسلامية حول الجدل الدّيني بعد أطروحة عبد المجيد شرقي، ومن الضروري معرفة مصادر الباقلااني في معرفة عقائد المسيحيّين مع استحضار اعتماد بعض المسلمين على مصادر ومراجع كتبها أصحابها المسيحيّون من زاوية مذهبية خاصّة عرضا ونقدا: مثل الرّد على أصناف النصارى لابن ربن الطبري المهتدي ونظم الجوهر، التاريخ المجموع لسعيد بن بطريق رجل الدّين المسيحي زعيم طائفته.

أورد عبد المجيد شرقي ملاحظة هامة تحيل إلى اشكالية عويصة في استعمال المنطق في اللاهوت المسيحي وعلم الكلام الإسلامي، ممّا يعلّق الحكم حول مدى فهم المسلمين لمراد النصارى، والعكس أيضا، خصوصا مع الرّبط بتعثّر دراسة المنطق اليوناني بسبب اللّغة أو التعارض مع الدّين، أو موقف الهيئات الدّينية: " كان المسلمون والنصارى يعتمدون على المقولات المنطقية اليونانية، ولكن الطرفين لم يكونا يلتقيان رغم ذلك لأنّ الاستعمال في ثقافة كل منهما قد كرس تصوّرا معيّنا.<sup>100</sup>

ويمكن تنظيم عناصر المناظرة أثناء السفارة في محاور رئيسية فقد تمّ البحث والحفر حول سفارة ومناظرة الباقلااني لدراستها المحتملة من كلّ الزّوايا، فالعلاقات البيزنطية الإسلامية تشبّبت وتشابكت بالعقيدة والسياسة والأعراف، وبعد هذا يمكن تحديد المحاور التي نقلتها المصادر والمراجع الإسلامية بإيجاز لا يفسّر التّسرّع في توضيح استنتاجات غير متطابقة مع ذلك الإيجاز في معارك منهجية دقيقة.

وتبرئة الباقلااني ممّا قد يخطئ فيه الدّارسون واجب ديني وأخلاقي وعلمي.

## 1. محور بروتوكول لباس الدخول على الملك

الرّواية الإسلامية عما حدث في قصر الإمبراطور البيزنطي شاهدها الوحيد هو الباقلاني، ثم نقلها عنه من جاء بعده، وكان مهتمًا بموضوعها بأمانة أو بإضافة عناصر أخرى. هذه الرّواية تقول أن الباقلاني نُصح بعدم الدّخول على الملك بالمعائم والأخفاف، وهذا ما ينصّ عليه البروتوكول السائد في قصر الإمبراطور، لكنّه رفض واقترح أن تؤخذ منه الرّسائل ويردّ له الجواب دون الالتقاء بالملك وعندما وصل ردّ الباقلاني للملك سأل الأخير عن سبب هذا التصرّف، فشرح الباقلاني أنّه من علماء المسلمين والإسلام رفع من شأنهم، والمفروض أنّ الملوك أيضًا يرفعون من شأن رسل الملوك الآخرين. ومن نفس المصدر الإسلامي ينقل لنا أن الإمبراطور خضع لطلب الباقلاني بالدخول بكامل هندامه: عمامة وخفا مع التعليل بأن الإمبراطور متشوّق لمعرفته وسماعه.

## 2. محور بروتوكول الباب.

لقد تبيّن ممّا ذكر في المباحث السابقة صرامة البروتوكولات البيزنطية، وطابعها الدّيني من زاوية مكانة الإمبراطور، وهذا خلافاً لمن يذكر من بعض الدّارسين المسلمين أنّ هذه البروتوكولات وضعت خصيصاً لإحراج الباقلاني.

في البرتوكول الإمبراطوري البيزنطي هناك باب صغير يمرّ منه ضيوف الملك ليصلوا إلى مجلسه، فالباب منخفض ممّا يضطرّ الضيوف كالباقلااني إلى السّجود للوصول إلى مجلس الإمبراطور، ولكن الباقلاني وجد الحيلة التي تعفيه من السّجود وهي الدّخول بظهره فيستقبل الملك ظهر الباقلاني، الذي سيقف مستقيماً بعد الدّخول ملتفتاً إلى الملك فيعني نفسه من السّجود. الحلّ يبدو مقبولا، لكن هل الحالة التي دخل بها الباقلاني ليس فيها مظهر غير لائق، وهل القائمين على البرتوكول البيزنطي تسامحوا مع هذا الاختراق للقوانين على مرأى الشهود؟

## 3. محور الوقوف أمام الامبراطور

وعندما التقى الباقلاني الإمبراطور أراد تبيان مقامه كما تقول الرّوايات المنقولة على لسان الباقلاني: " فدخلت عليه بنفيس ثيابي وعمامتي وطيلسانتي، فلما وقع بصره علي أدنايتي ورفعني فوق الكل وابتدأني من شأن كسوتي، فقلت بهذا الرّي ندخل على ملكنا الأعظم الذي هو تحت يدي أمير المؤمنين، وأدخل بها على سلطاننا الأكرم الذي أمرنا الله. "

ويضيف بنفس النبرة: وأني قد بعثت إليك لسان أهل الأرض تعظيماً لك وتكرمة.

ويبدو أن الإمبراطور استغرب هذا التّقديم فأردف الباقلاني: " إنّي رجل أتكلّم على حدث العالم، واثبات محدّثه وصفاته الواجبة له والمستحيلة عليه والجائزة في أحكامه، وأتكلّم على الوحداينة، وأردّ على البراهمة والمنانية والمجوس واليهود والنّصارى، وأبيّن صحّة ما أدّعيه من ناحية العقل وما يتعلّق به من السّمع والتّوقيف، وأبيّن ذلك كلّه بالبرهان اللائح، وأردّ على الاثنتين والسّبعين فرقة، وأنصر حقي.

\_\_\_\_\_ حفريات حول المناظرات الدينية خلال سفارات تحرير الأسرى بين الدولة البيزنطية والعالم الاسلامي

وبعد هذا العرض وما يبدو صمتا وإعجابا ودهشة وتسليما من الإمبراطور، تضيف الرواية الإسلامية أن الإمبراطور اقتنع بهذه القوى الخارقة، وعرض على الباقلائي أن يقعد عنده ليقاسمه المملكة. سبق تبيان دموية الصراعات في الدولة البيزنطية زمن السفارة، كما تمّ تبيان الوجه الديني لمنصب الإمبراطور ممّا يجعل مثل هذا الاقتراح بعيد عن الواقع، بالإضافة إلى أنّ الباقلائي لم يعرض إمكانيات سياسية أو عسكرية في شخصه، بل عرض على حسب الروايات تميزه الجدلي الديني. ولم تنته هذه الحلقة من الرواية الكبرى للمناظرة حيث يذكر أنّ الباقلائي ردّ على الإمبراطور أنّه كان يتمنّى ذلك لكن شرعه يمنعه من ذلك: كنت أفعل ذلك غير أي محجوز علي من جهة شرعي.

#### 4-محور الأكل على مائدة الملك

في يوم أحد من إقامة الباقلائي في عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، دعا الملك الباقلائي إلى مأدبة حافلة، موضّحا أنّ الرّسل لا يردّون دعوات الملك، لكنّ الباقلائي أعرب للترجمان عن خشيته من الأكل المحرّم. فجاه الرّد من الملك أن الأكل كله حلال، وأنّ الملك نفسه لا يقرب ما هو محرّم عند المسلمين. وأثناء الوليمة الملكية لاحظ الباقلائي أنّ الأكل كلّهُ حلال، لكنّه لم يقربه وتظاهر بالأكل. في هذا المشهد السّؤال المنطقي أنّها وليمة إمبراطورية، الأنظار فيها مركّزة على كلّ التفاصيل، وتوزيع أنواع الطّعام والصّحون يخضع لدقّة شديدة، فهل يعقل أنّ لا ينتبه إلى هذا السّلوّك الذي يمكن تأويله باستخفاف آخر بالإمبراطورية البيزنطية وقواعدها الدبلوماسية.

#### 5-محور جرح الباقلائي لنفسه حتى لا يتفاعل مع الموسيقى

من عادات ولائم الإمبراطور وجود المعازف، والباقلائي رغم ثباته وقوّة شخصيته خشي أن يصدر منه ما يهزّ وقاره، فتعمّد جرح جزء من جسده لينشغل بالألم عن التفاعل مع الأنعام، وقد لاحظ بعض الحضور ذلك وتعجّبوا .

القراءة الشرعية لسلوك إيذاء الجسد يحتاج إلى تشعّب آخر في التحليل من ذوي الاختصاص، ولكن السّؤال الملح هنا: ألا يمكن أن يكون لمنظر الدّم والجرح والألم، وقع في نفوس الحاضرين بداية بالإمبراطور في غير صالح وقار الباقلائي؟ ألا يؤدّي الألم أحيانا إلى انخفاض وعي الجريح خصوصا وأنّ الباقلائي صام عن الأكل؟

#### 6-محور انشفاق القمر

... يبدو أن المناظرة التالية كانت أثناء مأدبة الطّعام حيث جاء سؤال الملك عن معجزة انشفاق القمر عند المسلمين، وكيف لم يرها غير المسلمين، وهي ظاهرة فلكية من المفروض أن يراها النّاس جميعا، وزيادة في الاستفزاز أرفق السّؤال بملاحظة بلمحة سخرية، إن كان بين القمر والمسلمين نسبة أو قرابة: وهذا القمر بينكم وبينه نسبة؟... وقد علمتم أنّه في السّماء غير مختصّ بكم.

فردّ الباقلائي جاء من جهتين: بعض الظواهر الفلكية لا ترى إلا في منطقة بعينها، ثمّ أحاله إلى معجزة المائدة التي لم يرها إلا المسيحيون.

المتداول بين المسلمين أن المائدة المقصودة هي المذكورة في سورة المائدة في القرآن الكريم.

الباقلائي يستعمل نفس منطق الملك عندما يتساءل هل بين المائدة والتّصارى نسبة، حتى لا يراها إلّا هم؟ ويذكر بعض أتباع الأديان كنماذج للأقوام الذين لم يسمّعوا بالمائدة: اليهود والمجوس والبراهمة وأهل الإلحاد وخاصّة اليونان جيرانهم.

وطبعا التّاقلون لهذه المحادثة أو المناظرة يَحْتَمُونَ بأن الطّرف المسيحي سلّم واعترف بتفوّق منطق الباقلائي وحججه.

## 7-محور استنجد الملك بالقس

في تفاصيل ما نقل عن اللقاءات بين الإمبراطور البيزنطي والباقلاني، تبيّن أن الحاكم الرّوماني كان ملتمساً بعض القضايا المثارة في الجدل الدّيني المسيحي الإسلامي، ولكنّه شعر بالعجز أمام تفوّق الباقلائي، فاستنجد بأحد رجال الدّين، والرّواية الإسلامية تؤكّد أن الملك المسلم الذي أرسل الباقلائي حدّر الملك البيزنطي من قوّة حجّة الباقلائي وقدرته على افحام الخصوم، والغريب أن الباقلائي (حسب الرّواية الإسلامية) يقول أن الإمبراطور البيزنطي اعترف له بذلك وعلنا أمام الشهود.

يصف الباقلائي القس المسيحي بصفات كاريكاتورية مشبّهه بالدّئب لغرابة هيئته.

الرّواية الإسلامية تقول أنّ القس وافق الباقلائي في حجّته بأن الكسوف ظاهرة يراها أهل الإقليم الذي وقع فيه، ومن تألّب لحضوره، ويقاس على ذلك معجزة التّي محمد عليه الصلاة والسلام في انشقاق القمر. القس أضاف اشكالية أخرى في معجزة انشقاق القمر، وهي مسألة الرّواية والزّورة، فكيف لم يتمّ تناقل هذه المعجزة الكبيرة: لأنّه لو وقع ذلك لسمع الجميع به كعلم ضروري به.

ردّ الباقلائي كان بنفس منطق، وهو أنّه ما يلزم في نزول المائدة هو ما يلزم في انشقاق القمر، إذ لو كان نزول المائدة صحيحاً لوجب أن ينقله العدد الكثير، فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا ثنوي إلّا وهو يعلم هذا بالضرورة.

الرّواية الإسلامية تجعل خصوم الباقلائي حكاماً ورجال دين يعترفون بجهلهم أمامه رغم عدم وجود معجزة المائدة القرآنية في التّراث المسيحي: وإذا تمّ التّشكيك في هذه المواجهة حول المائدة، يمكن لأيّ باحث التّشكيك في باقي المواجهات: نتذكّر أن في رواية المناظرة لا يوجد من استغرب الحديث عن مائدة المسيح غير الموجودة في التّراث المسيحي، لا من الإمبراطور ولا من رجال الدّين، وهذه ثغرة كبيرة جداً.

## الاسئلة الملحة هنا:

أ. أن المائدة بالصيغة القرآنية غير موجودة في التّراث المسيحي.

ب. المسيح كان في فلسطين، وبالتالي المائدة كانت هناك، فلمّا لم يذكر الباقلائي العرب في عرضه للتّجمّعات الدّينية التي كانت حول المسيح عليه السلام.

ت. اليهود هم الأتباع الأوائل للمسيح عليه السّلام، وبالتالي هو أوّل من يشهد المعجزة إذا حصلت.

حُفريات حول المناظرات الدينية خلال سفارات تحرير الأسرى بين الدولة البيزنطية والعالم الاسلامي

ث. ينقل الباقلاني أنّ كل من ذكرهم منكروا لنزول المائدة وهنا اشكال كيف عرف الباقلاني؟ وهل للسؤال شرعية الوجود إذا كانت قصّة المائدة الاعجازية غير موجودة أصلا عند المسيحيين.

ج. ينقل الباقلاني أن الملك استدعى قسيسا لإنقاذه من موقف الهزيمة أمام الباقلاني، بعد أن عجز مستشار الملك الدّيني عن الردّ أيضا، ويصف الباقلاني القادم توصيفا كاريكاتوريا (كالدّيب أشقر الشّعر مسبله) ووافق هذا الرّجل الباقلاني على تحليله ومقارنته: فهل يعني أنّه سلّم بشقّ القمر أو بمنطق المقارنة؟.

## 8-محور مكانة المسيح.

من القضايا المركزية في منظومة العقائد المسيحية: مكانة المسيح بين اللاهوت والتّاسوت والأفانيم، وسبق علماء المسلمين الباقلاني في مجادلة المسيحيّين في هذه المسائل وغيرها لذلك، لم يكن مستبعدا أن يعلم البيزنطيّون ذلك عناوينا وتفصيلًا.

يسأل الإمبراطور الباقلاني عمّا يقوله المسلمون في المسيح عيسى بن مريم عليه السلام (هذا الاسم إسلامي وليس مسيحي). ليردّ الباقلاني بما جاء في القرآن الكريم: روح الله، وكلمته، وعبدّه، ونبيّه، ورسوله. كمثّل آدم خلقه من تراب، ثم قال له: كن، فيكون. وذكر نصّ القرآن الكريم.

ويعترض الإمبراطور على صفة العبودية وعلى نفى البنوة لله على المسيح.

لا بدّ هنا من التساؤل حول من كان يقوم بالترجمة، وهل كان متمكّنا من عمق لغة القرآن الكريم: فكلمة عبد لا تعني دائما الإنسان الفاقد لحريّته، فقد تستخدم الكلمة لتبيان خضوع الإنسان لله عزوجل. الباقلاني يستعيد بالله ويستشهد بآيات القرآن التّافية للبنوة والألوهية عن المسيح عليه السلام، متسائلا إذا كان لله ابن فمن أبوه وأخوه وجدّه وعمه وخاله وباقي أقاربه.

في المسيحية علوم دينية تشرح البنوة والأبوة والأفانيم من زوايا روحيّة وعقليّة، والأكيد أنّهم متنبهون لتعليل من يرفض ذلك، بل أنّ التاريخ المسيحي يلمّح إلى وجود فرق مسيحيّة منذ ظهور المسيحيّة، رافضة لعقائد البنوة والأبوة والأفانيم والتّثليث وفرق تأولت ما يبدو منافيا للعقل.

الباقلاني أيضا ينقل أن حججه أفحمت خصومه وأدخلتهم في دهاليز حيرة كبيرة، رغم أن الإمبراطور يقول للباقلاني أن هناك مسلمين قبله أخبروه أنّ القرآن يذكر أن المسيح خلق الطير وأبرأ الأكمه والأبرص، فيسارع الباقلاني لإبطال احتجاج الإمبراطور بالقرآن موضّحا أن كل تلك المعجزات كما يوضّحه القرآن هي من فعل الله تعالى، يبقى الإمبراطور محتجّا على توصيف المسيح بالبعد رغم كل معجزاته بل يصل إلى فقدان الصبر.

فأردف الباقلاني يشرح للإمبراطور أن الله هو فاعل كل معجزات الأنبياء عليهم السلام الخاصة بعيسى أو

موسى.

في العقائد المسيحية عيسى ليس نبيا بل إلهًا والأنبياء عند المسيحيّين ليسوا معصومين وخصائصهم ومقاصد رسائلهم مختلفة عمّا استقر في عقائد وإيمان المسلمين، فكيف تمرّ هذه المعطيات دون استشكل من المسيحيّين؟

ومع ذكر موسى والإشارة إلى سائر الأنبياء، سأل الإمبراطور عن السَّبب الذي يجعل الإنبياء يتضرَّعون للمسيح، حتى يفعل ما يطلبون ليسارع الباقلائي إلى الزد وهو يعلم رفض اليهود للمسيح أنه يستحيل أن يتضرَّع اليهود إلى عيسى.

نفس الملاحظة هنا حول خصائص النبوة بين من جهة المسلمين ومن جهة أخرى اليهود والمسيحيين. المسيحيون اجتهدوا لتبيان بشارات التناخ (العهد القديم) بالمسيح إلهًا عبر قراءات تأويلية لبعض آياته، مع رفض قاطع لليهود لهذه التأويلات.

## 9-محور الناسوت واللاهوت: علم وحكمة المسيح الإله

من المواضيع الدَّقيقة في الفكر المسيحي موضوع اتحاد الناسوت واللاهوت، ويوجد في كتابات المسلمين إشارات نقدية لهذا المحور فهل جاء الباقلائي بجديد؟ وهل درس بدقة تفاصيل دفاعيات المسيحيين على هذه المعتقدات؟ سأل الباقلائي: أراد المسيح أن ينجي النَّاس من الهلاك، فهل درى بأنه يقتل ويصلب ويفعل به ما فعل ويتلقى عداوات اليهود، فإن كان لا يدري فبطل أن يكون إلهًا، وإذا بطل أن يكون إلهًا، بطل أن يكون إلهًا، وإن قلت قد درى ودخل في هذا الأمر على بصيرة، فليس بحكيم، لأن الحكمة تمنع من التعرض للبلاء.

هل سؤال الباقلائي كان مفاجئًا للمسيحيين الحاضرين: هل هذا الموضوع من أولويات الجدل المسيحي الداخلي؟ أليس الموضوع مرتبط بالناسوت واللاهوت وتكفير الخطيئة، وهي من أساسيات العقائد المسيحية، وبالتالي من المؤكد أن علماء الدين المسيحي حرَّروا موادًا لاهوتية للزد، يتداولها العامة والخاصة لتبيت العقائد.

سؤال الباقلائي يحيل إلى محاور هامة في اللاهوت المسيحي والعهد الجديد، وعلماء المسيحية أجابوا في كتبهم الأولى عن الحكمة من صلب المسيح وأبعاده العقدية المرتبطة بكفارة الخطيئة والتبرير. لكن الزواية الإسلامية تنقل أن الإمبراطور والحضور بهتوا من أسئلة الباقلائي المفاجئة والصعبة؟

## 10-محور تبثل رجال الدين وتحذير كبير رجال الدين المسيحيين من البويهيين ورسلمهم.

حضر الباقلائي بكامل أهنته محفلاً مهمًا من محافل المسيحية بإجازة من الإمبراطور، وكان المحفل في أعلى مستويات التزيين والبهجة والأبهة. الإمبراطور أجلس الباقلائي قريبًا منه ثم حضر البطرك وكان حوله أتباعه يتلون آيات من الأناجيل، مع انتشار البخور قام الإمبراطور والحضور تعظيمًا له ثم أجلسه الملك إلى جواره، وقام بتقديم وتعريف الباقلائي بالبطرك، فسلم عليه الباقلائي سائلًا عن أهله وولده. وكان سؤال الباقلائي عن أهل البطرك مثيرًا للاستهجان، فرسم الحضور الصليب على وجوههم تعوذًا من السَّوَال، فبادر الباقلائي بالاحتجاج: يا هؤلاء تستعظمون لهذا الإنسان اتخاذ الصاحبة والولد، وتربون به عن ذلك، ولا تستعظمونه لركم، عزَّ وجهه، فتضيِّقون ذلك إليه؟ سوء هذا الرأي ما أبين غلظه.

المسيحيون لا ينسبون لإلههم الصاحبة والولد، وبنوة المسيح لا يذكرونها بالمفهوم البيولوجي لأن التي ولدت المسيح امرأة، فهل الباقلائي كان يعلم هذا وتعمد إحراج الجموع؟ وهل فعلاً الجموع سلَّمو بقوة حجَّة الباقلائي؟



حفريات حول المناظرات الدينية خلال سفارات تحرير الأسرى بين الدولة البيزنطية والعالم الاسلامي

تضيف الرواية الإسلامية أن البطرك نصح الملك بضرورة الحذر من ملك الفرس الذي أرسل الباقلاقي لدعائه، وهو لا يرسل إلا من كان مثله، فالحذر واجب وحماية الدين أوجب، فإظهار الدين ضروري فلعل الملك يتعلّق منه بسقطه، أو تتعزّز منه على زلة تقضي. السّؤال المهمّ هنا: بأيّة لغة تحدّث البطرك وهل يعقل أن ينصح الإمبراطور بطريقة تسمع الخصم المنصوح ضده؟

البطرك. طريقة محاجة الباقلاقي بالصّدمة هل تؤثّر سلبا أو إيجابا على المتلقّين، فالتبّتل معروف في مختلف الأديان، لكن الباقلاقي يقول أن الحضور انتبهوا إلى موقفهم وانكسروا منهزمين.

## 11-استسلام البطرك والإمبراطور

تنقل الرواية الإسلامية أنّه بعد الهزائم المتتالية للإمبراطور والقسّ والبطرك أمام حجج الباقلاقي، سأل الإمبراطور البطرك كيف يتصرّف مع الشّيطان قاصدا الباقلاقي، ليردّ عليه البطرك محدّرا من خطورة الباقلاقي على التّصرايّة لذلك عليه بقضاء حاجته، وملاطفة صاحبه، وبعث الهدايا إليه، وإخراج هذا العراقي عن البلد اليوم إن أمكن ذلك وإلا ستكون هناك فتنة على التّصرايّة من قبله.

كيف سمع الباقلاقي هذا الحوار الخاص والسّري والخطير وبأيّة لغة أيضا. والنتيجة التي ينقلها نفس المصدر أن الإمبراطور طبق نصيحة البطرك. ومّا هو منقول ومعرّض للتّقد لعدم اتفاقه مع ما توقّر من معلومات، أنّ الباقلاقي يقول أن السفارة نجحت، وأنّه عاد إلى عضد الدّولة بالهدايا والمصاحف والأسرى المحرّرين، وكانت العودة تحت الحراسة المؤمّنة لجند الأمبراطور.

في المصادر الإسلامية هناك عدم اهتمام بنتائج المهمّة الرّئيسية لسفارة الباقلاقي وحتى المناظرة ليست مذكورة في مصادر أساسيّة وليست مذكورة بالاحتفاء الذي يريد البعض إيهام الناس به، وهذا لا يعيب الباقلاقي.<sup>101</sup>

## 12-اشكالية المائدة

من محاور المناظرة بين القاضي أبي بكر الباقلاقي قصة المائدة التي سمّيت عليها سورة في القرآن الكريم وغير المذكورة في الكتاب المقدّس بنفس المعالم.

**عنصر المائدة في العهد القديم عموما:** ذكرت كلمة المائدة في العهد القديم 56 مرة في الأسفار التالية وتعلّق في مجملها بقصّة النبي موسى عليه السلام، والأخرى جاءت في سياق عادي متعلّق بحياة الناس دون علاقة بإعجاز أو شهادة نبوة: الأسفار المذكورة فيها المائدة: الخروج- اللاويين- البعدد- صموئيل 1- صموئيل 2- الملوك 1- اخبار الايام 1- اخبار الايام 2- استير- المزامير- يشوع- اشعيا- حزقيال -دانيال- ملاخي- المكابيين 1

جاء في سفر الخروج الاصحاح 25: كلام الله لموسى عليه السلام الآيات التالية:

23-وتصنع مائدة من خشب السنط طولها ذراعان وعرضها ذراع وارتفاعها ذراع ونصف، 24-وتغشيها بذهب نقي. وتصنع لها اكليلا من ذهب حواليتها،

25- وتصنع لها حاجبا على شبر حوالها. وتصنع لحاجبها إكليلا من ذهب حوالها.

26- وتصنع لها اربع حلقات من ذهب وتجعل الحلقات على الزوايا الاربع التي لقوائهما الاربع .

30- وتجعل على المائدة خبز الوجوه أمامي دائما.

الكلام خاص باليهود ولا علاقة له بالمسيح: اليهود لا يعترفون بالمسيح ولا بالعهد الجديد، وهناك اجتهادات بعض المفسرين المسيحيين لتأويل بعض الآيات الخاصة بالمائدة عند اليهود لربطها ببعض معتقدات المسيحيين، خصوصا تحت عناوين مثل الأصول اليهودية لسر الافخارستيا.

جاء في سفر المزامير: المزمور 78: الآيات التالية: وفيه تحدي اليهود في قدرة الله لانزال مائدة من السماء فأنزل الله عليهم ما هو أقوى منا يصل اليهم من غير تعب ورغم ذلك عادوا الى عنادهم فوقع عليهم غضب الله.

18 وجريوا الله في قلوبهم، بسؤالهم طعاما لشهوهم

19 فوقعوا في الله. قالوا: هل يقدر الله أن يرتب مائدة في البرية

20 هوذا ضرب الصخرة فجرت المياه وفاضت الأودية. هل يقدر أيضا أن يعطي خبزا، أو يهيئ لحما لشعبه.

21 لذلك سمع الرب فغضب، واشتعلت نار في يعقوب، وسخط أيضا صعد على إسرائيل

22 لأنهم لم يؤمنوا بالله ولم يتكلموا على خلاصه

23 فأمر السحاب من فوق، وفتح مصاريع السماوات

24 وأمطر عليهم منا للأكل، وبر السماء أعطاهم

25 أكل الإنسان خبز الملائكة. أرسل عليهم زادا للشبع

26 أهاج شرقية في السماء، وساق بقوته جنوبية

27 وأمطر عليهم لحما مثل التراب، وكرمل البحر طيورا ذوات أجنحة

28 وأسقطها في وسط محللتهم حوالي مساكنهم

29 فأكلوا وشبعوا جدا، وأتاهم بشهوهم

30 لم يزوغوا عن شهوهم. طعامهم بعد في أفواههم

31 فصعد عليهم غضب الله، وقتل من أسمنهم، وصرع مختاري إسرائيل

32 في هذا كله أخطأوا بعد، ولم يؤمنوا بعجائبه

33 فأفنى أيامهم بالباطل وسنيهم بالرعب

34 إذ قتلهم طلبوه، ورجعوا وبكروا إلى الله

35 وذكروا أن الله صخرتهم، والله العلي وليهم

36 فخدعوه بأفواههم، وكذبوا عليه بالسننهم.

\_\_\_\_\_ حفريات حول المناظرات الدينية خلال سفارات تحرير الأسرى بين الدولة البيزنطية والعالم الاسلامي

ونجد صورة لهذا في سورة البقرة الآية 57: ﴿وَلَللَّيْلِ عَلَيْكُمْ أَلْغَمٌ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلَوى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. عموم هذه الآيات عبارة عن سرد قصصي لما حدث في فترة معينة من تاريخ اليهود وفي تفاسيرها، باستثناء بعض القراءات المجازية في سبيل استخراج العبرة. ليس هناك ما يغيّر المعنى لا من بعيد ولا من قريب.

### المائدة في العهد الجديد:

ذكرت كلمة المائدة في ثمانية مواقع ولكن بعيدا عما جاء في القرآن الكريم : في إنجيل متى وفي إنجيل لوقا حيث ذكرت في ثلاث مواقع، واحد فقط مرتبط بالمسيح، وفي سفر أعمال الرسل، وفي رسالة بولس إلى أهل كورنثوس، وفي رسالة بولس للبرانيين حيث ذكرت مائدة موسى عليه السلام. وليس هناك ذكر لمائدة المسيح في سفر يوحنا.

### إنجيل متى: الاصحاح 26: الآيات

- 17 وفي أول أيام الفطير تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين له: أين تريد أن نعد لك لتأكل الفصح
- 18 فقال: اذهبوا إلى المدينة، إلى فلان وقولوا له: المعلم يقول: إن وقتي قريب. عندك أصنع الفصح مع تلاميذي.
- 19 ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح
- 20 ولما كان المساء اتكأ مع الاثني عشر
- 21 وفيما هم يأكلون قال: الحق أقول لكم: إن واحدا منكم يسلمني
- 22 فحزنوا جدا، وابتدأ كل واحد منهم يقول له: هل أنا هو يا رب
- 23 فأجاب وقال: الذي يغمس يده معي في الصحن هو يسلمني
- 26 وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز، وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذواكلوا. هذا هو جسدي
- 27 وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا: اشربوا منها كلكم
- 28 لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا

### إنجيل مرقس

### الاصحاح 14

- 12 وفي اليوم الأول من الفطير. حين كانوا يذبحون الفصح، قال له تلاميذه: أين تريد أن نغضي ونعد لتأكل الفصح
- 13 فأرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما: اذهبا إلى المدينة، فيلاقيكما إنسان حامل جرة ماء. اتبعاه
- 14 وحيثما يدخل فقولا لرب البيت: إن المعلم يقول: أين المنزل حيث أكل الفصح مع تلاميذي
- 15 فهو يريكما عليّة كبيرة مفروشة معدة. هناك أعدا لنا
- 16 فخرج تلميذه وأتيا إلى المدينة، ووجدا كما قال لهما. فأعدا الفصح

- 17 ولما كان المساء جاء مع الاثني عشر
- 18 وفيما هم متكئون يأكلون، قال يسوع: الحق أقول لكم: إن واحدا منكم يسلمني. الآكل معي
- 19 فابتدأوا يحزنون، ويقولون له واحدا فواحدا: هل أنا؟ وآخر: هل أنا
- 20 فأجاب وقال لهم: هو واحد من الاثني عشر، الذي يغمس معي في الصحيفة
- 22 وفيما هم يأكلون، أخذ يسوع خبزا وبارك وكسر، وأعطاهم وقال: خذواكلوا، هذا هو جسدي
- 23 ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم، فشربوا منها كلهم
- 24 وقال لهم: هذا هو دمي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل كثيرين

### إنجيل لوقا الاصحاح 22

- 7 وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يذبح فيه الفصح
- 8 فأرسل بطرس ويوحنا قائلا: اذهبا وأعدا لنا الفصح لنأكل
- 9 فقالا له: أين تريد أن نعد
- 10 فقال لهما: إذا دخلتما المدينة يستقبلكما إنسان حامل جرّة ماء. اتبعاه إلى البيت حيث يدخل
- 11 وقولا لرب البيت: يقول لك المعلم: أين المنزل حيث أكل الفصح مع تلاميذي
- 12 فذاك يريكما عليّة كبيرة مفروشة. هناك أعدا
- 13 فانطلقا ووجدا كما قال لهما، فأعدا الفصح
- 14 ولما كانت الساعة اتكأ الاثنا عشر رسولا معه
- 15 وقال لهم: شهوة اشتهيت أن أكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم
- 16 لأني أقول لكم: إني لا أكل منه بعد حتى يكمل في ملكوت الله
- 17 ثم تناول كأسا وشكر وقال: خذوا هذه واقتسموها بينكم
- 19 وأخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم قائلا: هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري
- 20 وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء قائلا: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم
- 21 ولكن هوذا يد الذي يسلمني هي معي على المائدة
- 22 وابن الإنسان ماض كما هو محتوم، ولكن ويل لذلك الإنسان الذي يسلمه
- 26 وأما أنتم فليس هكذا، بل الكبير فيكم ليكن كالأصغر، والمتقدم كالخادم
- 30 لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي، وتجلسوا على كراسي تدبسون أسباط إسرائيل الاثني عشر
- 34 فقال: أقول لك يا بطرس: لا يصبح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات أنك تعرفني

### إنجيل يوحنا الاصحاح 13

- 2 فحين كان العشاء، وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الإسخريوطي أن يسلمه
- 3 يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه، وأنه من عند الله خرج، وإلى الله يمضي

4 قام عن العشاء، وخلع ثيابه، وأخذ منشفة واتزر بها

5 ثم صب ماء في مغسل، وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزرا بها

18 لست أقول عن جميعكم. أنا أعلم الذين احترقتم. لكن ليتم الكتاب: الذي يأكل معي الخبز رفع علي عقبه

21 لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح، وشهد وقال: الحق الحق أقول لكم: إن واحدا منكم سيسلمني

### رؤية بطرس اناء نازل من السماء فيها كل الحيوانات في سفر أعمال الرسل

يمكن اعتبار سفر أعمال الرسل كملحق لإنجيل لوقا وهو يؤرخ لمرحلة النشاط المكثف للرسل خلال

منتصف القرن الأول الميلادي، ويعتبره المسيحيون مرجعا للوعاظ والمبشرين، حيث يستفيدون من تجارب الرسل واجتهاداتهم. كتب هذا السفر في روما وقد تكررت فيه كلمة الروح القدس 54 مرة، ولهذا علاقة بما يعتبره المسيحيون حلول الروح القدس في الرسل في اليوم العاشر لصعود المسيح حسب الاعتقاد المسيحي، ويحتفل به في عيد الخمسين.

فقصة الملاية النازلة من السماء على بطرس كانت رؤية، وليست مذكورة في الجزء الرئيسي من الأناجيل،

ولا علاقة لها بالمسيح عليه السلام.

### الآيات الخاصة برؤية بطرس في الاصحاح 10 من سفر اعمال الرسل

9 ثم في الغد فيما هم يسافرون ويقتربون إلى المدينة، صعد بطرس على السطح ليصلي نحو الساعة السادسة

10 فجاء كثيرا واشتهى أن يأكل. وبينما هم يهيئون له، وقعت عليه غيبة

11 فرأى السماء مفتوحة، وإناء نازلا عليه مثل ملاء عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومدلاة على الأرض

12 وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء

13 وصار إليه صوت: قم يا بطرس، اذبح وكل

14 فقال بطرس: كلا يا رب لأنني لم أكل قط شيئا دنسا أو نجسا

15 فصار إليه أيضا صوت ثانية: ما طهره الله لا تدنسه أنت

16 وكان هذا على ثلاث مرات، ثم ارتفع الإناء أيضا إلى السماء

19 وبينما بطرس متفكر في الرؤيا، قال له الروح: هوذا ثلاثة رجال يطلبونك

20 لكن قم وانزل واذهب معهم غير مرتاب في شيء، لأنني أنا قد أرسلتهم

21 فنزل بطرس إلى الرجال الذين أرسلوا إليه من قبل كرنيليوس، وقال: ها أنا الذي تطلبونه. ما هو السبب الذي

حضرتم لأجله

22 فقالوا: إن كرنيليوس قائد مئة، رجلا بارا وخائف الله ومشهودا له من كل أمة اليهود، أوحى إليه بملاك مقدس

أن يستدعيك إلى بيته ويسمع منك كلاما

23 فدعاهم إلى داخل وأضافهم. ثم في الغد خرج بطرس معهم، وأناس من الإخوة الذين من يافا رافقوه.

## رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 1

### الأصحاح الحادي عشر

22 أفليس لكم بيوت لتأكلوا فيها وتشربوا؟ أم تستهينون بكنيسة الله وتحجلون الذين ليس لهم؟ ماذا أقول لكم؟ أمدحكم على هذا؟ لست أمدحكم

23 لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضا: إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها، أخذ خبزا

24 وشكر فكسر، وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري

25 كذلك الكأس أيضا بعدما تشبوا، قائلا: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري

26 فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء

27 إذا أي من أكل هذا الخبز، أو شرب كأس الرب، بدون استحقاق، يكون مجرما في جسد الرب ودمه.

تتفق تفاسير المسيحيين المتاحة على أن الوليمة التي دعا لها المسيح، هي من تحضير تلاميذ المسيح أو أتباعه، وليس هناك ما يشير من بعيد أو قريب إلى أنها نزلت من السماء، والغالب أن وليمة العشاء الأخير كانت متوافقة مع عيد الفصح اليهودي. فليس هناك في الكتاب المقدس للمسيحيين ولا في تاريخهم المقدس ما يشير إلى نزول مائدة من السماء على عيسى وأصحابه.

### قصة المائدة في كتب تفاسير القرآن الكريم.

المائدة في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالُوا أَتَقُولُوا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنَّهُ مُرِئُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

خصائص سورة المائدة: تتفق أغلب التفاسير على أن سورة المائدة هي: آخر ما نزل، وليس فيها منسوخ وفيها ثمان عشرة فريضة ليست في غيرها.

أ. هي الأكثر ذكرا لآيات الأحكام.

ب. أول سورة من أصل ثلاث صور (المائدة والحجرات والممتحنة) بحسب ترتيب المصحف تبدأ بنداؤ المؤمنين :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

ت. آخر سورة نزلت بالأحكام الشرعية.

ث. في آياتها مواجهة شديدة مع أهل الكتاب وبها أحكام بالتكفير.

ج. من أسماء السورة :

ج1. سورة العقود: باعتبارها التي بدأت بضرورة الايفاء بالعقود.

ج2. سورة الأخيار: لذكر فضائل الأخلاق فيها.

ج3. سورة المنقذة: لأنها تنقذ من يحفظها ويتدبرها من عذاب ملائكة العذاب.

ج4. هناك من ربط تسمية المائدة من فعل ماد وهو الاضطراب الذي هو أيضا حالة من لا يوفي بالعهود.

## نماذج من التفاسير

### 1. نموذج تفسير أبي جعفر الطبري: يعرض الطبري بعض الآراء حول قصة المائدة:

أ. رأي مجاهد والحسن: أنها لم لأنه لما قيل للحواريين فَمَنْ يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ . قالوا: لا حاجة لنا فيها. استعفوا منها فلم تنزل.

ب. رأي يرى: أن خبر هذه المائدة غير معروف عند النصارى.

ت. جمهور المفسرين قالوا: إن المائدة نزلت، واختاره ابن جرير، وابن كثير، والقرطبي، وغيرهم من العلماء، وذكروا آثاراً عن السلف أنها نزلت فعلاً، نزلت على بني إسرائيل أيام عيسى، وقالوا: هذا ظاهر القرآن العزيز، إذ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ .

ث. عدم ورود القصة في الإنجيل، قالوا: الإنجيل أصلاً محرف، ويحتمل أنهم تناقلوا خبر المائدة جيلاً عن جيل بدون ما يذكر في الإنجيل..

يذكر الطبري بعض آراء علماء المسلمين من قصّة المائدة بين تحقيق نزولها أو عدم نزولها، لكن أهم ما يبيّنه الطبري من باب مقارنة الأديان اعترافه بعدم وجود قصّة المائدة في الكتاب المقدّس للمسيحيّين، مرجعاً ذلك إلى تحريفه، أي أنّه يقول أنّ القصّة موجودة في الإنجيل الأصلي الذي يتحدّث عنه القرآن الكريم.<sup>102</sup>

### 2. نموذج تفسير البغوي

أ. والصحيح الذي عليه الأكثرون: أنها نزلت، لقوله تعالى: "إني منزلها عليكم ، ولا خلف في خبره، لتواتر الأخبار فيه عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين

ب. واختلفوا في صفتها: أنها نزلت خبزاً ولحماً.

ث. وقيل لهم: إنها مقيمة لكم ما لم تحنوا (وتخبؤوا) فما مضى يومهم حتى خانوا وخبؤوا فمسخوها قردة وخنازير.

ج. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن عيسى عليه السلام قال لهم: صوموا ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم يعطكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا: يا عيسى إنا لو عملنا لأحد فقضينا عمله لأطعمنا، وسألوا الله المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم.

خ. قال كعب الأحبار: نزلت ( مائدة ) منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض، عليها كل الطعام إلا اللحم.

ح. وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم، قال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة

د. وقال عطية العوف: نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء

ذ. وقال الكلبي: كان عليها خبز ورز وبقل

ر. وقال وهب بن منبه: أنزل الله أقرصة من شعير وحيتانا، وكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويحيي آخرون فيأكلون حتى أكلوا جميعهم وفضل .

ز. وعن الكلبي ومقاتل: أنزل الله خبزاً وسمكا وخمسة أرغفة، فأكلوا ما شاء الله تعالى، والناس ألف ونيف فلما رجعوا إلى قراهم، ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد.

س. وقالوا: ويحكم إنما سحر أعينكم، فمن أراد الله به الخير ثبتته على بصيرته، ومن أراد فتنته رجع إلى كفره.

ش. ومسحوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امرأة، فمكثوا بذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا، وكذلك كل ممسوخ .

ص : كانت تنزل عليهم بكرة وعشياً حيث كانوا كالمثلّ والسّلوى لبني إسرائيل .

ض. لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى عليه السلام صوفا وبكى، وقال: " اللهم أنزل علينا مائدة من السماء " الآية. فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها، وهم ينظرون إليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى، وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة، واليهود ينظرون إلى شيء لم يروا مثله قطّ ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحه، فقال عيسى عليه السلام: ليقيم أحسنكم عملاً فيكشف عنها ويذكر اسم الله تعالى، فقال شمعون الصفار رأس الحواريين: أنت أولى بذلك منا.

ط. المشهد حسب المعلومات التي نقلها البغوي من روايات بعض المسلمين:

ط1. فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيراً .

ط2. ثم كشف المنديل عنها وقال: بسم الله خير الرازقين.

ط3. فإذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوسها ولا شوك عليها، تسيل من الدسم. وعند رأسها ملح وعند ذنبها خلّ، وحوها من ألوان البقول ما خلا الكراث، وإذا خمسة أرغفة على واحد زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد.

ط4. فقال شمعون: يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة؟ فقال: ليس شيء ممّا ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة، ولكنه شيء افعله الله تعالى بالقدرة الغالبة، كلوا ممّا سألتكم بمددكم ويزدكم من فضله.

ط5. قالوا: يا روح الله كن أول من يأكل منها.

ط6. فقال عيسى عليه السلام: معاذ الله أن أكل منها ولكن يأكل منها من سأله.



- ط7. فخافوا أن يأكلوا منها.
- ط8. فدعا لها أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمقعدين والمبتلين، فقال: كلوا من رزق الله ولكم المهنة ولغيركم البلاء.
- ط9. فأكلوا وصدر عنها ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى، كلهم شبهان.
- ط10. وإذا السَّمكة بِمِيتَتِها حين نزلت.
- ط11. ثم طارت سفرة المائدة صعدا وهم ينظرون إليها حتى توارت.
- ط12. فلم يأكل منها زمن ولا مريض ولا مبتلى إلا عوفي ولا فقير إلا استغنى.
- ط13. وندم من لم يأكل منها .
- ط14. فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى، فإذا نزلت اجتمعت الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء ، ولا تزال منصوبة يؤكل منها.
- ط15. حتى إذا فاء الغي طارت وهم ينظرون في ظلّها حتى توارت عنهم.
- ط16. وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كنفقة ثمود.
- ط17. فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء، فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكّوا وشكّكوا الناس فيها، وقالوا: أترون المائدة حقًا تنزل من السماء؟
- ط18. فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: إني شرطت أن من كفر بعد نزولها عدّته عذابا لا أعدّبه أحدا من العالمين، فقال عيسى عليه السلام: ( إن تعدّهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات، ويأكلون العذرة في الحشوش.
- ط19. فلما رأى الناس ذلك فرعوا إلى عيسى عليه السلام وبكوا.
- ط20. فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف بعيسى عليه السلام وجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم فيشربون برءوسهم ويكفون ولا يقدرّون على الكلام، فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا .
- والسؤال الملحّ منهجياّ وحتى دينياّ: ما هي مصادر التفاصيل المذكورة، وما آثار هذه التفاصيل على العقائد ثم التاريخ القصصي.<sup>103</sup>

### 3. نموذج تفسير ابن كثير

أ. هذه قصة المائدة وإليها تنسب السورة .

ب. ذكر بعض الأئمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل، ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين.

ت. سألو المائدة لحاجتهم وفقيرهم.

ث. عيسى عليه السلام نصّحهم بالتوكّل على الله والاجتهاد في طلب الرزق.

ج. وكلّ هذه الآثار دالة على أنّ المائدة نزلت على بني اسرائيل أيام عيسى ابن مريم، كما دلّ على ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم، والذي عليه الجمهور أنّها نزلت.

ح. يقول ابن كثير أنّ هناك أيضا أسانيد صحيحة يتركز عليها القائلون بعدم نزول المائدة: وقد يتقوّى ذلك بأن خبر المائدة لا يعرفه النصارى، وليس هو في كتابهم، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك ممّا تتوفّر الدواعي على نقله، وكان يكون موجودا في كتابهم متواترا ولا أقل من الآحاد.

التماذج المذكورة تتفق أنّ الغالب أنّ المائدة نزلت، واجتهد البعض في وصف كيف نزلت، وما حملته، ولكن هناك أيضا ذكر لآراء نبّهت أن المائدة غير مذكورة عند النصارى، وآراء قالت أنّها لم تنزل بتأويل آية التعذيب.<sup>104</sup>

#### 4. نموذج تفسير محمد الطاهر بن عاشور

لم يتوقف بن عاشور كثيرا عند هذه الجزئية وأوجز رأيه في:

أ-وقفت قصّة سؤال المائدة عند هذا المقدار، وطوي خبر ماذا حدث بعد نزولها، لأنّه لا أثر له في المراد من القصّة، وهو العبرة بحال إيمان الحواريين وتعلّقهم بما يزيدهم يقينا، وبقرّهم إلى ربّهم، وتحصيل مرتبة الشّهادة على من يأتي بعدهم، وعلى ضراعة المسيح الدّالة على عبوديته، وعلى كرامته عند ربّه إذ أجاب دعوته، وعلى سعة القدرة.

ب-وأما تفصيل ما حوته المائدة وما دار بينهم عند نزولها فلا عبرة فيه.

ت-وقد أكثر فيه المفسّرون بأخبار واهية الأسانيد سوى ما أخرجه الترمذي في أبواب التفسير، عن الحسن بن قزعة بسنده إلى عمار بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما: الحديث. قال الترمذي: هذا الحديث رواه غير واحد عن عمار بن يسار موقوفا ولا تعرفه مرفوعا إلا من حديث الحسن بن قزعة ولا نعلم للحديث المرفوع أصلا.

ث-واختلف المفسرون في أن المائدة هل نزلت من السماء أو لم تنزل. فعن مجاهد والحسن أنّهم لما سمعوا قوله تعالى: فمن يكفر بعد منكم الآية، خافوا فاستعفوا من طلب نزولها فلم تنزل

ج- وقال الجمهور: نزلت. وهو الظاهر لأن قوله تعالى: إني منزلها عليكم وعد لا يخلف، وليس مشروطا بشرط ولكنه معقب بتحذير من الكفر، وذلك حاصل أثره عند الحواريين وليسوا ممّن يخشى العود إلى الكفر سواء نزلت المائدة أم لم تنزل.

ح-وأما النصارى فلا يعرفون خبر نزول المائدة من السماء.

خ- وكم من خبر أهملوه في الأنجيل<sup>105</sup>.

في تفاسير المسلمين من بيّن أنّ قصّة المائدة غير موجودة في الكتاب المقدّس للمسيحيين، وهذا مهمّ في الحفريات حول المناظرة والسفارة، فكيف لم ينتبه إلى ذلك الباقلاني ومن يكتب اليوم عن مناظرته؟ أما عن نتيجة

السفارة فالمهتَمُّونَ بالمناظرة كانت جهودهم موجهة أساساً لتبيان ما سُمِّي انتصارات الباقلاقي على المسيحيين في عقر دارهم، وذلك كان بالاعتماد على رواية مصدرها الوحيد الباقلاقي، يعني أحد طرفي المجادلة والمناظرة، مع تحقُّظ شديد ومبرَّر حول حدود معالم ما جاء فعلاً على لسان الباقلاقي، وما أضافه رِوَاة وناقلو رواية الباقلاقي.

الغالب حسب الحفريات التي تم الاجتهاد فيها: أن السفارة في الأساس لم تكن من أجل المناظرة، فهل حققت السفارة هدفها الرئيس ؟ وهل حققت مع هذا أيضاً هدفاً دينياً ظاهراً ومؤثراً في الدين والسياسة ؟

كان طلب الطرف البيزنطي عبر رسول الإمبراطور ينحصر في تسليم المتمرد ومن معه ولو بابتعا، والوعد بتأمينه ومن معه مقابل إخراج أسرى للمسلمين في الدولة البيزنطية. كانت هناك موافقة مبدئية من عضد الدولة الملك البويهبي الذي أرسل الباقلاقي سفيراً إلى عاصمة الدولة البيزنطية. وكان عضد الدولة قد أعطى الأمان للمتمرد للقبض عليه، يعني أنَّ ما كان عند عضد الدولة هو شيء ثمين في التفاوض.

ويبدو أنَّ الباقلاقي كان يحمل مشروع معاهدة أساسها تسليم المتمرد البيزنطي، وعاد الباقلاقي بمشروع معاهدة، ومعه رسول يعرف بابن قونس ليأخذ إمضاء عضد الدولة عليها، ولكن عضد الدولة بدا له أن يظفر في المعاهدة باسترجاع بعض الحصون، فأعاد ابن قونس وأرسل معه أبا إسحاق بن شهرام، ورجع ابن شهرام بمشروع المعاهدة الأخير، ومعه رسول يعرف بنقفور الكانكلي، ولكن وصولهما صادف اشتداد العلة على عضد الدولة وموته.

يعني أنَّ المعاهدة التي عاد بها الباقلاقي من سفارته لم يقبلها الملك البويهبي، فبعث بسفير آخر عاد بمعاهدة جديدة، لكن عضد الدولة كان قد مات فتتم الاجراءات خليفته وكان من بنود المعاهدة الجديدة: ووقع المعاهدة صمصام الدولة: عقد الهدنة لمدة عشر سنوات، وتسليم الحصون التي تم اشتراطها ابن شهرام، مع احتمال أن يكون من شروط المسلمين عند تسليم المتمرد العفو عنه وإرجاعه إلى مرتبته بضمان خطي من الإمبراطور البيزنطي.<sup>106</sup>

#### الخاتمة:

مناظرة الباقلاقي كما يتم عرضها وتداولها، بيّن بعض المتخصصين والعامة أنها حققت الانتشار الذي يرضي عواطف المسلمين، لكن الأمانة الأخلاقية والعلمية ووجود طرف معني بها من حقه التشكيك في تفاصيلها، هذا إذا اهتم بما أصلاً. هذه الحالة اقتضت الحفر فيما يحيط بالسفارة والمناظرة بالاعتماد على مصادر ومراجع من آفاق متنوعة.

الهدف ليس تنغيص فرحة المحتفين، ولكن الاستفادة من هذه التجربة لقراءة أعمق، وتبيئة أقرب إلى الواقع، وتحليل بمشروط الموضوعية قدر المستطاع بعد تبرئة الذمة بوضع التحفظ المركزي حول رواية الباقلاقي باعتباره الشاهد الوحيد من الطرف الإسلامي، وما قد يكون التآلقون عنه قد أضافوه أو عدلوه بما يتناسب مع الدور الذي أريد للمناظرة بعيداً عن التدقيق التاريخي.

هذا البحث نموذج عن صعوبة استثمار ما وصلنا من تراثنا في الجدل الديني الذي لم يتجاوز المحقق منه

سنة في المائة.

### قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو الحسن علي ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمر، دار العربي، بيروت-لبنان، 1417هـ/1997م
2. أبو الحسن علي بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجع: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 1425هـ-2005م.
3. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مطبعة السعادة، دار الفكر، القاهرة-بيروت، د.ت.
4. أبو الفداء بن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، 1419هـ.
5. أبو القاسم بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساکر: في تبيين كذب المفتري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1404هـ
6. أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، 1415هـ/1995م.
7. أبو بكر احمد بن ثابت الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، د.ت.
8. أبو بكر الباقلائي: إعجاز القرآن الكريم، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط.5، دار المعارف، الاسكندرية، 1997م.
9. أبو بكر الباقلائي، تحقيق الاب رتشد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت-لبنان، 1957م
10. أبو بكر الباقلائي: التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، تقديم وتعليق: محمود محمد الحضيبي ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، د.ت.
11. أبو جعفر الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، 1422هـ-2001م
12. أبو علي السكوني: عيون المناظرات، تحقيق: سعيد عراب، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1976م
13. أبو فهر محمود محمد شاكر: التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، الجزء الثاني من القسم السادس من موسوعته التاريخية، المكتب الإسلامي، بيروت، عمان، دمشق، 1421هـ-2000م .
14. أبو محمد البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط.4، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ-1997م.
15. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.
16. أنظر لاسي أوليري: علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب، ترجمة: وهيب كامل وركي علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1962م
17. تقي الدين المقرئ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1418هـ.
18. جلال الدين السيوطي: اخبار الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، 1424هـ-2003م.
19. حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الثاني، ط.14، دار النهضة العربية ودار الجليل، القاهرة-بيروت، 1996م
20. حسن منيمنة: تاريخ الدولة البويهية، الدار الجامعية، الاسكندرية، 1407-1978.
21. حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة، القاهرة-مصر، 1403هـ-1983م.
22. ريتشارد سوزرن: صورة الاسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة: رضوان السيد، دار المدار الاسلامي، بيروت-لبنان، 2006.
23. ستيفن رنسيومان: الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، 1997،
24. عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون: ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1401هـ، لبنان، 1981هـ
25. عبد العزيز رمضان ومصطفى الشبيني: المجتمع البيزنطي، دار الحياة، القاهرة-مصر، 2017م.
26. عبد المجيد شرقي: الفكر الاسلامي في الرد على النصارى الى نهاية القرن 14، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، الجزائر، 1986م
27. عثمان بن جمعة ضميرية: السفارة والسفراء في الاسلام، رابطة العالم الاسلامي، مكة المكرمة، 1996م

## حَفَرِيَّاتٌ حَوْلَ الْمَنَظَرَاتِ الدِّينِيَّةِ خِلَالَ سَفَارَاتِ تَحْرِيرِ الْأَسْرَى بَيْنَ الدَّوْلَةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ وَالْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

28. علي بن محمد الشريف الجرجاني: التعريفات، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 140هـ-1983م
29. فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، دار الكتاب العربي، القاهرة-مصر، د.ت
30. القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1402هـ/1982م
31. الكاتبة "الجبلي غريغوري زياكا أستاذة اللاهوت في اليونان: الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمجادلة، ت: ميخالي جورج سولومونيدس: مجلة التسامح، مجلة تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية سلطنة عمان مسقط، ع. 29، شتاء 1431 هـ - 2010م.
32. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1983م
33. محمد الطاهر ابن عاشور: تحرير المعنى السديد وتبوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م
34. محمد بن عبد العزيز الخضيري: المناظرة العجيبة، دار الوطن للنشر، الرياض-السعودية، 2000.
35. محمد سهيل طفوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، عمان-الأردن، د.ت
36. محمد علي كرد، كنوز الاجداد، مطبوعات الجمع العلمي العربي، دمشق -سوريا، 1370هـ
37. نورمان بيتر وآخرون: الامبراطورية البيزنطية، تعريب: حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة-مصر، 1950.
1. Adel-Théodore KHOURY :les théologiens byzantins et l'Islam .textes et auteurs (8-9 siècles ). ed beatrice – nauwelaerts,Paris, 1969.
2. Ed. Oxford University Press.newyork.2010
3. Gilbert DRAGON :empereur et prêtre étude sur le césaropapisme byzantin,ed: Gallimard paris,1996. Johann Jacob REISKE: ConstantinVII.Porphrogénète; empereur d'orient 905-959 : DE Ceremoniis aulae Byzantinae libri duo ed :WEBER 1829 [https://archive.org/details/bub\\_gb\\_I9QFAAAAQAAJ/page/873/mode/2up](https://archive.org/details/bub_gb_I9QFAAAAQAAJ/page/873/mode/2up) . Liutprand DE CREMONE :ambassades à BYZANCE trad :Joel SCHNAPP ed ANACHARSIS TOULOUSE 2005
4. Gustave SCHLUMBERGER :L'épopée byzantine à la fin du dixieme siècle ,seconde partie .basile II le tueur des bulgares .ed: hachette. 1900. Louis BREHIER :vie et mort de BYZANCE. ed: albin michel .2006. Warren TREADGOLD : history of BYZANTINE . state and society. Stanford university press.1997
5. Karl joseph HEFELE : Hisoire des concils d' apres les documents originaux
6. Louis FRANCON : manuel de l'histoire des concils.GUERIN 1856
7. Louise DIAMON , John W.McDONALD :multi-track diplomacy Ma systems approach to peace ed :kumarian press book, colorado, USA. 1996 .And :Rebecca SAGER : Faith, Politics, and Power: The Politics of Faith-Based Initiatives
8. Paul LEMERLE : L'histoire Des Pauliciens D'Asie Mineure D'apres Les Sources Grecques Ed: Centre de Recherche d'Histoire et Civilisation de Byzance, paris.1973.
9. Théodore Khoury :Les théologiens byzantins et l'Islam. Textes et auteurs (VIIIe-XIIIe siècles), Editions Béatrice- Nauwelaerts, Paris, 1905.
10. YOUVAI Rotman : Byzance face à l islam arabe 7-10- siecle d un droit territorial à l identité par la foi
11. Henri MARROV : nouvelle histoire de l'église . vol .I .SEUIL 1963

<sup>1</sup> ابن الاثير: الكامل، 5/ 342.

<sup>2</sup> ابن مسكويه: تجارب الامم، 5/ 553-554 .

<sup>3</sup> أنظر: حسن منيمنة: تاريخ الدولة البويهية، الدار الجامعية، الاسكندرية، 1407-1978. وأبو فهر محمود محمد شاکر: التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، الجزء الثاني من القسم السادس من موسوعته التاريخية، المكتب الاسلامي، بيروت، عمان، دمشق، 1421هـ-2000م .

<sup>4</sup> أنظر: الكامل لابن الاثير، 6/ 315.

<sup>5</sup> ابن الاثير: الكامل، 4/ 403.

<sup>6</sup> آدم متز: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، 1/ 42.

<sup>7</sup> تجارب الامم، 2/ 111، و 2/ 157. وأنظر أيضا: تجارب الأمم، 2/ 86، و 2/ 396، وتاريخ الخلفاء السيوطي، ص. 267، والكامل، 7/ 45

<sup>8</sup> أنظر: ابن كثير، 12/ 39، وابن الاثير، 3/ 221، و 7/ 6.

<sup>9</sup> أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مطبعة السعادة ، دار الفكر، القاهرة\* -بيروت، 11/ 350

<sup>10</sup> القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 7، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1402هـ/1982م. ص55.

- 11 نفسه ص57.
- 12 أنظر: نفسه، ص48. وأبو بكر الباقلائي: إعجاز القرآن للباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - الاسكندرية، 1997، ط5، ص26.
- 13 الامتاع والموانسة، 143/1.
- 14 أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، 4/ 166.
- 15 نفسه، 4/ 2.
- 16 تاريخ بغداد: 379/5.
- 17 أبو بكر احمد بن ثابت الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 367/3.
- 18 القاضي عياض، ترتيب المدارك، 44/7.
- 19 وفيات الاعيان، 269/4.
- 20 أبو القاسم بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر: في تبيين كذب المفتري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1404هـ، ص221.
- 21 ابن تيمية: درة التعرض، 2/ 99-100.
- 22 عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون: ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت: 1401هـ، لبنان، 1981هـ، 1/ 589.
- 23 نفسه، ص590.
- 24 كارل بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1983، 50/4 و51 و52 ومحمد علي كرد، كنوز الاجداد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق -سوريا، 1370هـ، ص201.
- 25 ابو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني: التمهيد في الرد على الملحدة والمعتلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، تقدم وتعليق: محمود محمد الخضيرى ومحمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، ص13.
- 26 أبو بكر الباقلائي: إعجاز القرآن للباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، الاسكندرية-مصر، 1997، ط5، ص33.
- 27 أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني: التمهيد، ص4، 5، 7.
- 28 نفسه ص13+. ملحق ترجمة القاضي ابي بكر بن الباقلاني عن كتاب ترتيب المدارك وتهديب الممالك لمعرفة أعلام مذهب الامام مالك، طبعة مراكش.
- 29 نفسه، ص241.
- 30 نفسه، ص242.
- 31 نفسه، ص55.
- 32 نفسه، ص87.
- 33 نفسه، ص52 وما بعدها.
- 34 ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص120.
- 35 ابو علي السكوني: عيون المناظرات، تحقيق: سعيد عراب، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1976، ص236.
- 36 وترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 55/7.
- 37 أبو الحسن علي ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمر، دار العربي، بيروت-لبنان، 1417هـ/1997م، 7/ 368 وص369.
- 38 ابن الأثير: الكامل، 368/7 وص369.
- 39 السكوني: عيون المناظرات، ص244.
- 40 مقدمة محمود محمد الخضيرى ومحمد عبد الهادي أبو ريدة لكتاب التمهيد للباقلاني.
- 41 القاضي عياض: ترتيب، ص58 وص59 وص61. بعض الباحثين حددوا سير القاضي الى ملك الروم، حوالي سنة 380هـ، أنظر: السكوني: عيون المناظرات، ص244.
- 42 أنظر: لسان العرب، 217/5. وعلي بن محمد الشريف الجرجاني: التعريفات، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 140هـ-1983م، ص298 وص310.
- 43 محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ص5 وص6.
- 44 نفسه، ص6 وص7.
- 45 مقدمة ابن خلدون، ج2
- 46 نفسه

46 تاريخ اليعقوبي: دار صادر، 2010، 484/2

47. Louise DIAMON , John W.McDONALD :multi-track diplomacy Ma systems approach to peace ed:kumarian press book, colorado, USA. 1996 .And :Rebecca SAGER : Faith, Politics, and Power: The Politics of Faith-Based InitiativesEd, Oxford University Press.newyork.2010

48 عثمان بن جعة ضميمية: السفارة والسفراء في الاسلام، رابطة العالم الاسلامي، مكة المكرمة، 1996، ص25.

49 أبو الحسن علي بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، ج.3، بيروت-لبنان، 1425هـ-2005م، ص100. وشمس الدين بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، 304/4.

50 أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو احتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، ج25، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، 1415هـ/1995م . ص387. وأبو الحسن علي بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، مراجعة: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 1425 هـ-2005م.

51 فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، ج3، ص323

52 حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الثاني، دار النهضة العربية ودار الجليل، القاهرة-بيروت، 1996، ط14، 3/231

53 أنظر: حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، 3/235.

54 ريتشارد سوزن: صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة: رضوان السيد، دار المدار الاسلامي، بيروت-لبنان، 2006.

55 حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ص231 و233.

56 تقي الدين المقرئ: المواعظ والاعتبار، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1418 هـ، 1/355.

57 عبد العزيز رمضان ومصطفى الشهابي: المجتمع البيزنطي، دار الحياة، القاهرة-مصر، 2017، ص142.

58 أنظر لاسي اوليري: علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب، ترجمة: وهيب كامل وزكي علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1962. 3/207

59 أنظر: فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، ص270.

60 فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، ص270، 3/348.

61 فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، 3/350.

62 الكاتبة "النجلي غريغوري زياكا أستاذة اللاهوت في اليونان: الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمجادلة، ت: ميخالي جورج سولومونيدس: مجلة التسامح، مجلة تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية سلطنة عمان مسقط، ع. 29، شتاء 1431 هـ - 2010م، ص236.

63 الكاتبة "النجلي غريغوري زياكا أستاذة اللاهوت في اليونان: الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمجادلة، ت: ميخالي جورج سولومونيدس: مجلة التسامح، مجلة تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية سلطنة عمان مسقط، ع. 29، شتاء 1431 هـ - 2010م، ص236.

64 أنظر:

Adel-Théodore KHOURY :les théologiens byzantins et l'Islam .textes et auteurs (8-9 siècles ). ed beatrice – nauwelaerts,Paris, 1969.

65 فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، دار الكتاب العربي، القاهرة-مصر، 386/2.

66 نفسه: ص383.

67 نفسه: ص384.

68 نفسه: ص385 و386.

69 نورمان بيتز وآخرون: الامبراطورية البيزنطية، تعريب: حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة-مصر، 1950. ص80

70 نفسه: ص81 .

71 نفسه: ص82 و83.

72 نفسه: ص90.

73 نفسه، ص91.

74 نفسه، ص91.

75 نفسه: من ص91 الى ص94.

76 Gilbert DRAGON :empereur et prêtre étude sur le césaropapisme byzantin,ed: Gallimard paris,1996. Johann Jacob REISKE: ConstantinVII.Porphyrrogénète; empereur d'orient 905-959 : DE Ceremoniis aulae Byzantinae libri duo ed :WEBER 1829 [https://archive.org/details/bub\\_gb\\_I9QFAAAQAQAA/page/873/mode/2up](https://archive.org/details/bub_gb_I9QFAAAQAQAA/page/873/mode/2up) . Liutprand DE CREMONE :ambassades à BYZANCE trad :Joel SCHNAPP ed ANACHARSIS TOULOUSE 2005

- 77 نورمان بيتز وآخرون: الإمبراطورية البيزنطية، ص 113.
- 78 نورمان بيتز وآخرون: الإمبراطورية البيزنطية، ص 117.
- 79 Gustave SCHLUMBERGER : L'épopée byzantine à la fin du dixieme siècle ,seconde partie .basile II le tueur des bulgares .ed: hachette. 1900. Louis BREHIER :vie et mort de BYZANCE. ed: albin michel .2006. Warren TREADGOLD : history of BYZANTINE . state and society. Stanford university press.1997
- 80 فتحي عثمان: الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، 324-323/3.
- 81 نفسه: ص 365.
82. Théodore Khoury :Les théologiens byzantins et l'Islam. Textes et auteurs (VIII-XIIIe siècles), Editions Béatrice- Nauwelaerts, Paris, 1905.
- 83 حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة، القاهرة-مصر، 1403هـ- 1983، ص 102.
- 84 نفسه: من ص 108 إلى 125
- وستيفن رنسيما: الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جادو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، 1997، من ص 135 إلى ص 137.
- و Karl joseph HEFELE : Hisoire des concils d' apres les documents originaux و Henri MARROV : nouvelle histoire de l'église . vol .I. SEUIL 1963 و Louis FRANCON : manuel de l'histoire des concils. GUERIN 1856.
- 85 أنظر: محمد سهيل طفوفش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، عمان-الأردن، ص 209.
- Paul LEMERLE : L'histoire Des Pauliciens D'Asie Mineure D'apres Les Sources Grecques Ed: Centre de Recherche d'Histoire et Civilisation de Byzance, paris.1973.
- 86 أنظر: محمد سهيل طفوفش: تاريخ الدولة العباسية، ص 209 و 210.
- 87 عبد العزيز رمضان ومصطفى الشهبني: المجتمع البيزنطي، دار الحياة، الاسكندرية-مصر، 2017، ص 145 و 146. و جلال الدين السيوطي: اخبار الخلفاء، دار ابن حزم، 1424هـ- 2003م، بيروت، لبنان، ص 262
- 88 عبد العزيز رمضان ومصطفى الشهبني: المجتمع البيزنطي، من ص 154 إلى ص 158.
- 89 عبد العزيز رمضان ومصطفى الشهبني: المجتمع البيزنطي، ص 162.
- 90 عبد العزيز رمضان ومصطفى الشهبني: المجتمع البيزنطي، من ص 165 إلى ص 170
- 91 تقي الدين المقرئ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 355/1. و فتحي عثمان: الحدود الاسلامية البيزنطية، ج 3، ص 377.
- 92 YOUVAI Rotman : Byzance face à l islam arabe 7-10- siecle d un droit territorial à l identité par la foi
- 93 محمد بن عبد العزيز الحضري: المناظرة العجيبة، دار الوطن للنشر، الرياض-السعودية، 2000.
- 94 مقدمة التحقيق
- 95 في هامش رقم 13 ص 23.
- 96 الباقلاني: التمهيد، ص 286 و 287. و كتاب التمهيد ابو بكر الباقلاني، تحقيق الاب رتشد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت-لبنان، 1957.
- 97 عبد المجيد شري: الفكر الاسلامي في الرد على النصارى الى نهاية القرن 14، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، الجزائر، 1986، ص 153.
- 98 نفسه: من ص 153 إلى 155.
- 99 نفسه: ص 154 و 155.
- 100 نفسه: ص 206.
- 101 القاضي عياض: ترتيب المدارك، من ص 62 إلى ص 70. وأبو علي عمر السكوني: عيون المناظرات، فقرة رقم 341.
- 102 أبو جعفر الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، 1422هـ- 2001، ج 9.
- 103 أبو محمد البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج 3، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط 4، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ- 1997م.
- 104 أبو الفداء بن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ج 3، 1419هـ.
- 105 محمد الطاهر ابن عاشور: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ج 7، 1984م .
- 106 أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن الكريم، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط 5، دار المعارف، الاسكندرية، 1997، ص 26.